۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا
ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ
ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ
وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا
تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا
شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ
٢٥٥ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ
وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا

ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ
ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

–يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين سائر الناس بإيحائه وإرسالهم إلى الناس،

ودعائهم الخلق إلى الله،

كقوله﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾الإسراء: ٥٥

–ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع العام،

1– فمنهم من كلمه الله كموسى بن عمران خصه بالكلام*و محمد و آدم**

2–و منهم من رفعه على سائرهم درجات كنبينا ﷺالذي اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره،

و جمع الله له من المناقب ما فاق به الأولين و الآخرين

(وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ**)**

الدالات على نبوته و أنه عبد الله و رسوله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه

(وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ**)**

أي: بالإيمان و اليقين الذي أيده به الله و قواه على ما أمر به،

و قيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله

(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ)

الموجبة للاجتماع على الإيمان

***كل ذلك عن قضاء الله و قدره

(وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ)

فكان موجب هذا الاختلاف التفرق و المعاداة و المقاتلة،

و مع هذا فلو شاء الله بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا،

فـــــدل ذلك على أن :-

1-مشيئـــــة الله نافذة غالبة للأسباب،

2-و إنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة،

فإذا وجدت اضمحل كل سبب، و زال كل موجب، فلهذا قال

(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ)

فإرادته غـــــالبة و مشيئته نــــافذة،

و في هذا و نحوه دلالة على أن الله تعالى لم يزل يفعل ما اقتضته مشيئته و حكمته،

-و من جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه و أخبر به عنه رسوله ﷺ من:-

[الاستواء و النزول و الأقوال،و الأفعال التي يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية].

فــــــائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه:-

1-فيجب عليه معرفته برسله

ما يجب لهم و يمتنع عليهم و يجوز في حقهم،

2–و يؤخذ جميع ذلك مما وصفهم الله به في آيات متعددة،

(1)منها: أنهم رجال لا نساء، من أهل القرى لا من أهل البوادي،

(2)و أنهم مصطفون مختارون، جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء و الاختيار،

(3) و أنهم سالمون من كل ما يقدح في رسالتهم من كذب و خيانة و كتمان و عيوب مزرية،

(4) و أنهم لا يقرون على خطأ فيما يتعلق بالرسالة و التكليف،

(5) و أن الله تعالى خصهم بوحيه، فلهذا وجب الإيمان بهم و طاعتهم

(6) و من لم يؤمن بهم فهو كافر،

(7) و من قدح في واحد منهم أو سبه فهو كافر يتحتم قتله،

و دلائل هذه الجمل كثيرة، من تدبر القرآن تبين له الحق، ثم قال تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ)

و هذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله،

من صدقة واجبة ومستحبة←

ليكون لهم ذخرا و أجرا موفرا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير،

(لَّا بَيۡعٌ فِيهِ)

و لو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبا ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه،

(وَلَا خُلَّةٌ)

و لم ينفعه خليل و لا صديق لا بوجاهة

(وَلَا شَفَٰعَةٌۗ)

و هو اليوم الذي فيه يخسر المبطلون و يحصل الخزي على الظالمين،

و هم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه،

فتركوا الواجب من حق الله و حق عباده و تعدوا الحلال إلى الحرام،

و أعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذي هو:-

وضع العبادة التي يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق مثله،

فلهذا قال تعالى:(وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

و هذا من باب الحصر، أي: الذين ثبت لهم الظلم التام، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾لقمان: ١٣

***و لا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ

*** صحيح مسلم

810 عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»

قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»

قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255].

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»( )

***صحيح البخاري

2311 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ،

فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ،

وَ قُلْتُ: وَ اللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَ عَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ،

قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ،

فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»

فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ،

فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ،

(ليهنك العلم) أي ليكن العلم هنيئا لك]

فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ،
فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ،
قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ،
فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ،
فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ،
وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ
قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟
قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ:
{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} [البقرة: 255]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ،
فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ،
فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا،
فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ:
قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ:
{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} [البقرة: 255]
وَ قَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ -
وَ كَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»( )

-هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن و أفضلها و أجلها،

و ذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة و الصفات الكريمة،

فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها

و جعلها وردا للإنسان في أوقاته صبـــاحا و مســـــاء(Ð)

و عند نــــومه

و أدبــــار الصلوات المكتوبات،

فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن

(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

أي: لا معبود بحق سواه،

(آت) اسم فاعل من أتى وأصله آتي فحذفت الياء لالتقاء الساكنين.

(يحثو) يأخذ بكفيه.

(علي عيال) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء.

(أسيرك) سمي أسيرا لأنه ربطه بحبل وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل.

(البارحة) أقرب ليلة مضت.

(فرصدته) ترقبته.

(آية الكرسي) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا وهي قوله تعالى {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}. إلى آخر الآية

وكانوا) أي الصحابة يحرصون على تعلم الخير فيأخذونه حيثما صدر ويبذلون في سبيله كل شيء من متاع الدنيا.

(قد صدقك) أخبرك بما يوافق الواقع والحق.

(وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب]

لم أجد لها حديث:سامح

فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة و الطاعة و التأله له تعالى، لكماله و كمال صفاته و عظيم نعمه،

و لكون العبد مستحقا أن يكون عبدا لربه، ممتثلا أوامره مجتنبا نواهيه،

و كل ما سوى الله تعالى باطل، فعبادة ما سواه باطلة،

لكون ما سوى الله مخلوقا ناقصا مدبرا فقيرا من جميع الوجوه،

فلم يستحق شيئا من أنواع العبادة، وقوله:

(ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ)

هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة و تضمنا و لزوما،

–فـــــ(ٱلۡحَيُّ)

من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات،:–

كالسمع و البصر و العلم و القدرة، ونحو ذلك،

(ٱلۡقَيُّومُ)

هو الذي قام بنفسه و قام بغيره،

و ذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من:–

[الاستواء و النزول و الكلام و القول و الخلق و الرزق و الإماتة و الإحياء،]

و سائر أنواع التدبير،

كل ذلك داخل في قيومية الباري،

و لهذا قال بعض المحققين:-

إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، و إذا سئل به أعطى،

و من تمام حياته و قيوميته أن

(لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ)

و السنة النعاس

*أيسر التفاسير:النعاس يسبق النوم.

*** صحيح مسلم-179

قال النبي ﷺ (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ)

(لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)

***كقوله﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾مريم: ٩٣ - ٩٥

أي: هو المالك و ما سواه مملوك

-و هو الخالق الرازق المدبر و غيره مخلوق مرزوق مدبر

لا يملك لنفسه و لا لغيره مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض

فلهذا قال:(مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ)

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾الأنبياء: ٢٨

أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه

فالشفاعة كلها لله تعالى،

و لكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن،

***** وَ هَذَا مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَ كِبْرِيَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ**

***** صحيح البخاري**

(....وَ لَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي،
فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي،
وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ،
فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،
فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،
فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي
فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ،
فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ،
ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ،
وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،
فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي،
فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ،
ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ،

ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،
فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ،
فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي،
فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ
ثم قال

(يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ)

أي: ما مضى من جميع الأمور

(وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ)أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور،

متقدمها و متأخرها، بالظواهر و البواطن، بالغيب و الشهادة،

و العباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى،

و لهذا قال: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ)

*** لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إلا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ.

-وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطَّلِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَ صِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طَه:110].

(وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ)

*** العرش وما روي فيه - محققا ()

حديث أبي ذر الغفاري- رضي الله عنه- قال:

حديث صحيح. انظر تخريجه في قسم التحقيق تحت رقم 58.

دخلت المسجد الحرام، فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه، فقلت:-

يا رسول الله، أيما أنزل عليك أفضل،

قال:"آية الكرسي،

و ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة،

و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"(1)

–و هذا يدل على كمال عظمته و سعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي

أنه يسع السماوات و الأرض على عظمتهما و عظمة من فيهما،

–و الكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى،

بل هنا ما هو أعظم منه و هو العرش، و ما لا يعلمه إلا هو،

و في عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار و تكل الأبصار، و تقلقل الجبال

و تكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها و مبدعها،

و الذي أودع فيها من الحكم و الأسرار ما أودع،

و الذي قد أمسك السماوات و الأرض أن تزولا من غير تعب و لا نصب،

وقال الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (رقم 109) - بعد أن سرد الطرق لهذا الحديث-: "وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح، والحديث خرج مخرج التفسير

لقوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} ،

وهو صريح في أن الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش،

وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئا معنويا،

وفيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان".

فلهذا قال:(وَلَا يَـُٔودُهُۥ) أي: يثقله

(حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ)(٥)

بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته

(ٱلۡعَظِيمُ) الذي تتضائل عند عظمته جبروت الجبابرة،

و تصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة،

فسبحان من له العظمة العظيمة و الكبرياء الجسيمة و القهر والغلبة لكل شيء

***كقوله {وَهُو الْعَلِيُّ الْكَبِير} وَ كَقَوْلِه: {الْكَبِيرُ الْمُتَعَال} [الرَّعْدِ:9] .

وَ هَذِهِ الْآيَاتُ وَ مَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الْأَجْوَدُ فِيهَا طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَ لَا تَشْبِيهٍ.

فقد اشتمـــــــلت هذه الآية على:-

1-توحيد الإلهية و توحيد الربوبية و توحيد الأسماء والصفات،

2-و على إحاطة ملكه و إحاطة علمه و سعة سلطانه و جلاله و مجده،

العلو ثلاثة:-1-القدر (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً)[نوح:13-14]

2-القهر: وهذا علو مطلق، فإنه قاهر لكل شيء، الخلق كلهم تحت قهره، يتصرف فيهم وأقدارُه تجري عليهم رضوا أم لم يرضوا:

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدَاً)[مريم:93]

يعني: ذليلاً مقهوراً خاضعاً ليس له شيء،

3- علو الذات: كونه العالي على كل شيء، العالي فوق خلقه كلهم، وليس فوقه شيء تعالى وتقدس، وأرفع المخلوقات وأعلاها هو عرش الرحمن،

وهو أوسعها وأكبرها وأعظمها، { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: 50]

و عظمته و كبريائه و علوه على جميع مخلوقاته،

فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته،

متضمنة لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلا ثم قال تعالى:

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ
بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

***لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ

فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ دَلَائِلُهُ و بَرَاهِينُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ،

بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ و شَرَحَ صَدْرَهُ و نَوَّرَ بَصِيرَتَهُ دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ،

وَ مَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ و بَصَرِهِ

فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا.

وَ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ،

وَإِنْ كَانَ حُكْمُهَا عَامًّا.

*** وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذِهِ مَحْمُولَةٌ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ

وَمَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِمْ قَبْلَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ إِذَا بَذَلُوا الْجِزْيَةَ.

وَ قَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ

-وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى جَمِيعُ الْأُمَمِ إِلَى الدُّخُولِ فِي الدِّينِ الْحَنِيفِ دِينِ الْإِسْلَامِ

فَإِنْ أَبَى أَحَدٌ مِنْهُمُ الدُّخُولَ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقَدْ لَهُ

1-أَوْ يَبْذُلِ الْجِزْيَةَ،

2-قُوتِلَ حَتَّى يُقْتَلَ.

وَ هَذَا مَعْنَى الْإِكْرَاهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُون} [الفتح:16]

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التَّحْرِيمِ:9]

وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التَّوْبَةِ:123]

وَ فِي صحيح البخاري

3010 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ»( )

يَعْنِي: الْأَسَارَى الَّذِينَ يَقْدَمُ بِهِمْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ فِي الْوَثَائِقِ وَ الْأَغْلَالِ وَ الْقُيُودِ وَ الْأَكْبَالِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُسْلِمُونَ وَ تَصْلُحُ أَعْمَالُهُمْ وَ سَرَائِرُهُمْ فَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

* الصحيح المسند من أسباب النزول

قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاتا ( ) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده،

فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار،

فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى ذكره

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} .

ش (عجب الله) رضي عن ذلك وأثاب عليه.

(في السلاسل) هو مجاز عن دخولهم في الإسلام مكرهين ثم يحسن حالهم فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة]

التي لا يعيش لها ولد

يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه،
لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره،
أو أمر في غاية الكراهة للنفوس،
و أما هذا الدين القويم و الصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول،
و ظهرت طرقه، وتبين أمره،

(قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ)

*أيسر التفاسير:الهدى الموصل إلى الإسعاد و الإكمال
-و عرف الرشد

(مِنَ ٱلۡغَيِّۚ)

*أيسر التفاسير:الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء و الخسران.

❍فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره و اختاره،

❍و أما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق
فيختار عليه الباطل، و يبصر الحسن فيميل إلى القبيح،
فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة و الفائدة فيه،
-و المكره ليس إيمانه صحيحا،

☼و لا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين
و إنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصده
اتباع الحق،

❍و أما القتال و عدمه فلم تتعرض له،

و إنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر،

❍و لكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب،

كما هو قول كثير من العلماء،

(فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ)

فيترك [عبادة ما سوى الله –و طاعة الشيطان]

و يؤمن بالله إيمانا تاما أوجب له عبادة ربه و طاعته

***الطاغوت:الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ شَرٍّ كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ،
مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَ التَّحَاكُمِ إِلَيْهَا وَ الِاسْتِنْصَارِ بِهَا.

(فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ)

أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده و رسخت أركانه،

و كان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي

(لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ)

و أما من عكس القضية فكفر بالله و آمن بالطاغوت،

فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة،

و استمسك بكل باطل مآله إلى الجحيم

(وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

فيجازي كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير و الشر،

و هذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى و لمن لم يستمسك بها.

*** صحيح البخاري

3813 -عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ،
فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الخُشُوعِ،
فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا،
ثُمَّ خَرَجَ، وَ تَبِعْتُهُ،
فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ المَسْجِدَ
قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ،
قَالَ: وَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ ﷺفَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ،
وَ رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَ خُضْرَتِهَا
وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ،
أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ، وَ أَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ،
فَقِيلَ لِي: ارْقَ، قُلْتُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ،
فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلاَهَا،
فَأَخَذْتُ بِالعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقَظْتُ،
وَ إِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:
«تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ،
وَ ذَلِكَ العَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ،
وَ تِلْكَ العُرْوَةُ عُرْوَةُ الوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ»
وَ ذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ( )

(تجوز فيهما) خففهما.

(ما ينبغي. .) قال ذلك تواضعا أو كراهة الثناء على أحد بالقطع له بالجنة.

(لم ذلك) أي لماذا قالوا ذلك القول.

(عروة) ما يستمسك به كالحلقة.

(ارقه) ارتفع واعل والهاء للسكت.

(منصف) هو الخادم.

(وإنها لفي يدي) أي العروة أي استيقظ قبل أن يتركها في المنام وهذا أفاد أنه أخذ الإسلام ولن يتركه.

(عروة الوثقى) الإيمان والإسلام]

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ
ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ
إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي
كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ
كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ
طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ
لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال:

(ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

و هذا يشمل ولايتهم لربهم، بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلا

و لا يشركون به أحدا قد اتخذوه حبيبا و وليا، و والوا أولياءه و عادوا أعداءه،

فتولاهم بلطـــــــفه و منَّ عليهم بإحســـــــانه:-

1-فأخرجهم من ظلمات الكفر و المعاصي و الجهل إلى نور الإيمان

و الطاعة و العلم،

2-و كان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر و الحشر و القيامة

إلى النعيم المقيم و الراحة و الفسحة و السرور

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ)

فتولوا الشيطان و حزبه، و اتخذوه من دون الله وليا و والوه

و تركوا ولاية ربهم و سيدهم،

فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزونهم إلى المعاصي أزا،

و يزعجونهم إلى الشر إزعاجا،

(يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ)

-فيخرجونهم من نور الإيمان و العلم و الطاعة

➔إلى ظلمة الكفر و الجهل و المعاصي،

-فكان جزاؤهم على ذلك أن حُرموا الخيرات،

و فاتهم النعيم و البهجة و المسرات،

-و كانوا من حزب الشيطان و أولياءه في دار الحسرة،فلهذا قال تعالى:

(أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ)

***الميسر:حاج:جادل**

***المحاج:النمروذ

أي: إلى جرائته و تجاهله و عناده و محاجته فيما لا يقبل التشكيك،

و ما حمله على ذلك إلا

(أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ)

فطغى و بغى و رأى نفسه مترئسا على رعيته،

فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله

(إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ)

أي: هو المنفرد بأنواع التصرف،

و خص منه الإحياء و الإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير،

و لأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا و الإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة،

فقال ذلك المحاج: (قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ)

و لم يقل أنا الذي أحيي و أميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف،

و إنما زعم أنه يفعل كفعل الله و يصنع صنعه،

فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته،

و يستبقي شخصا فيكون قد أحياه،

فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته

و يتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة،

اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم:

(قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ)

أي: عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر

(فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ)

و هذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه،

فلما قال له أمرا لا قوة له في شبهة تشوش دليله،

و لا قادحا يقدح في سبيله

(فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ)

***أُخرس فلا يتكلم

أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا و انقطعت حجته و سقطت شبهته،

و هذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق و يغالبه،

فإنه مغلوب مقهور،

فلذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

بل يبقيهم على كفرهم و ضلالهم،

و هم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك،

و إلا فلو كان قصدهم الحق و الهداية لهداهم إليه

و يسر لهم أسباب الوصول إليه،

-ففـــــي هذه الآيـــــة:-

برهان قاطع على تفرد الرب [بالخـــــلق و التـــــدبير]،

و يلزم من ذلك أن يُفرد بالعبادة و الإنابة و التوكل عليه في جميع الأحوال،

-قال ابن القيم رحمه الله:

و في هذه المناظرة نكـــــتة لطيفة جدا،

و هي أن شرك العَالَم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب و القبور،

ثم صورت الأصنام على صورها،

فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملةً

بأن الله وحده هو الذي يحيي و يميت،

و لا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته و لا بعد موته،

فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء و إماتة،

❍و من كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على صورته، يعبد من دونه،

❍و كذلك الكواكب أظهرها و أكبرها للحس هذه الشمس و هي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله.(Î)

ثم قال تعالى:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

و هذا أيضا دليل آخر على توحد الله بالخلق و التدبير و الإماتة و الإحياء،

فقال: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)

« من مفتاح دار السعادة »

أي: قد باد أهلها و فني سكانها و سقطت حيطانها على عروشها،

فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفرة،

فوقف عليها ذلك الرجل متعجبا

و ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

استبعادا لذلك و جهلا بقدرة الله تعالى،

فلما أراد الله به خيرا أراه آية في نفسه و في حماره،و كان معه طعام و شراب،

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ﴾

***قال له الله :أي بواسطة الملك

استقصارا لتلك المدة التي مات فيها لكونه قد زالت معرفته و حواسه

و كان عهد حاله قبل موته، فقيل له

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ﴾

أي: لم يتغير بل بقي على حاله على تطاول السنين و اختلاف الأوقات عليه،

ففيه أكبر دليل على قدرته حيث أبقاه و حفظه عن التغير و الفساد،

مع أن الطعام والشراب من أسرع الأشياء فسادا

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾

و كان قد مات و تمزق لحمه و جلده و انتشرت عظامه، و تفرقت أوصاله

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ﴾

على قدرة الله و بعثه الأموات من قبورهم،

[لتكون أنموذجا محسوسا مشاهدا بالأبصار]

فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل

(وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا)

أي: ندخل بعضها في بعض، و نركب بعضها ببعض

(ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ)

فنظر إليها عيانا كما وصفها الله تعالى،

(فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ)

ذلك و علم قدرة الله تعالى

(قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

والظاهر من سياق الآية أن هذا رجل منكر للبعث أراد الله به خيرا،

و أن يجعله آية و دليلا للناس لثلاثـــة أوجــــــه:-

أحدها قوله:-(أنى يحي هذه الله بعد موتها)

و لو كان نبيا أو عبدا صالحا لم يقل ذلك،

و الثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه و حماره و نفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره،

و لم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت و عادت إلى حالتها،

و لا في السياق ما يدل على ذلك،

و لا في ذلك كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟!

و إنما الدليل الحقيقي في إحيائه و إحياء حماره و إبقاء طعامه و شرابه بحاله،

و الثالث في قوله: (فلما تبين له)

أي: تبين له أمر كان يجهله و يخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه،

و الله أعلم.

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن
لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ
مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ
مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا
خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ
يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ
وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ
صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ
لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن
لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ
مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ

(وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ)

*** أَنَّهُ لَمَّا قَالَ لِنُمْرُوذَ: {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ}
أَحَبَّ أَنْ يَتَرَقَّى مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ فِي ذَلِكَ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ،
وَ أَنْ يَرَى ذَلِكَ مُشَاهِدَةً فَقَالَ:

{رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}

*** صحيح البخاري

3372 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
" نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ:
{رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}
وَ يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ،
وَ لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ "( )

***فَلَيْسَ الْمُرَادُ هَاهُنَا بِالشَّكِّ مَا قَدْ يَفْهَمُهُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، بِلَا خِلَافٍ.

–و هذا فيه أيضا أعظم دلالة حسية على قدرة الله و إحيائه الموتى للبعث

(أحق) أولى بالسؤال عن كيفية الإحياء أو الشك فيه لو كان سؤاله شكا ولكنه طلب المزيد من اليقين والاطمئنان.
(ليطمئن) ليسكن ويصير علم اليقين عندي عين اليقين بالمشاهدة
(يأوي) يستند ويعتمد.
(ركن شديد) قوي وعزيز يمتنع به ويستنصر بذلك ﷺإلى قوله تعالى
{لو كان أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} / هود 80 /.
قال العيني رحمه الله تعالى وكأنه ﷺاستغرب ذلك القول وعده نادرا منه إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه.
وقال النووي رحمه الله تعالى يجوز أنه نسي الالتجاء إلى الله في حمايته الأضياف أو أنه التجأ إلى الله فيما بينه وبين الله و أظهر للأضياف العذر وضيق الصدر.
(الداعي) الذي دعاه إلى الخروج من السجن و لأسرعت في الخروج يشير بذلك ﷺإلى قوله تعالى
{فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن} يوسف 50
وقوله ﷺذلك تواضع منه حيث إنه وصف يوسف عليه السلام بشدة الصبر ولا يعني ذلك قلة صبره ﷺ
أو أنه ﷺيشير إلى الأخذ بالأسهل فيما ليس فيه معصية]

و الجزاء،

۞فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى،

❍و لكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين،

فلهذا قال الله له: (قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)

و ذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان و يكمل به الإيقان و يسعى في نيله أولو العرفان، فقال له ربه:

(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ)

أي: ضمهن ليكون ذلك بمرأى منك و مشاهدة و على يديك

***فاضممهن إليك و اذبحهن و قطعهن

(ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)

أي: مزقهن، اخلط أجزاءهن بعضها ببعض، و اجعل على كل جبل،

أي: من الجبال التي في القرب منه، جزء من تلك الأجزاء

(ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا)

أي: تحصل لهن حياة كاملة، و يأتينك في هذه القوة و سرعة الطيران،

ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك

و حصل له ما أراد و هذا من ملكوت السماوات و الأرض الذي أراه الله إياه

في قوله﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ

﴾ الأنعام: ٧٥

ثم قال:(وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

أي: ذو قوة عظيمة سخر بها المخلوقات،

فلم يستعص عليه شيء منها،بل هي منقادة لعزته خاضعة لجلاله،

و مع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته، لا يفعل شيئا عبثا، ثم قال تعالى:

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ

فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ

هذا بيان للمضاعفة التي ذكرها الله في قوله

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ

وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٤٥

و هنا قال:(مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)

أي: في طاعته و مرضاته، و أولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله

(كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ)

و هذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العبد يشاهده ببصره

فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته،

فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان،←

فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة و المنة الجليلة

(**وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ**)

هذه المضاعفة

(**لِمَن يَشَآءُۚ**)

أي: بحســـــب:–

1–حــــال المنفق

2–و إخـــــلاصه و صدقه

3–و بحســــب حال النفقة

4–و حلهــــا و نفعها

5–و وقوعهـــــا موقعها

و يحتمل أن يكون

(**والله يضاعف**)

أكثر من هذه المضاعفة

(**لمن يشاء**)

فيعطيهم أجرهم بغير حساب

(**وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ**)

الفضل، واسع العطاء، لا ينقصه نائل و لا يحفيه سائل،

❍فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة،

لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء و لا ينقصه العطاء على كثرته،

و مع هذا فهو ﴿عَلِيمٌ﴾

بمن يستحق هذه المضاعفة و من لا يستحقها،

[فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه و حكمته].

***صحيح مسلم

1892 عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ

فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»( )

***صحيح مسلم

1151 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ،

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَ أَنَا أَجْزِي بِهِ،

يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَ طَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "

-لِلصَّائِمِ فَرْحَتَـــــــانِ:

1- فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ،

2-وَ فَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ "

(مخطومة) أي فيها خطام و هو قريب من الزمام]

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ
أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾
۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ

(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)

أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله و سبيله

(ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا)

و لا يتبعونها بما ينقصها و يفسدها من المن بها على المنفق عليه:- بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه و يطلب منه مقابلته،

(وَلَآ أَذٗى)

و لا أذية له قـــــولية أو فعلـــــية،

(لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ)

فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم

(وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ)

*** فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)

***علي ما خلفوه من الاولاد و لا ما فاتهم من الحياة الدنيا و زهرتها لانهم صاروا الي ما هو خير لهم من ذلك

-فحصل لهم الخير و اندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصا لله سالما من المفسدات.

(قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ)

أي: تعرفه القلوب و لا تنكره،

و يـــــدخل في ذلك:-

1-كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم،

2-و يدخل فيه رد السائل بالقول الجميل و الدعاء له

(وَمَغۡفِرَةٌ)

لمن أساء إليك بترك مؤاخذته و العفو عنه،

و يدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي،

(خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ)

فالقول المعروف و المغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى،

- لأن القول المعروف إحسان قولي،
- و المغفرة إحسان أيضا بترك المؤاخذة،

و كلاهما إحسان ما فيه مفسد،

فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمنّ أو غيره،

*** صحيح مسلم

106عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»
قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا
قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَ خَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟
قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَ الْمَنَّانُ، وَ الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»( )

-و مفهوم الآيـــــة أن:-

○الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف و المغفرة،

و إنما كان المنّ بالصدقة مفسدا لها محرما:-

1-لأن المنّة لله تعالى وحده، و الإحسان كله لله

فالعبد لا يمنّ بنعمة الله و إحسانه و فضله و هو ليس منه

2-و أيضا فإن المانّ مستعبِدٌ لمن يمنّ عليه،

و الذّل و الاستعباد لا ينبغي إلا لله،

و الله غني بذاته عن جميع مخلوقاته،

و كلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات و الأوقات،

○فصدقتكم و إنفاقكم و طاعاتكم يعود مصلحتها إليكم و نفعها إليكم،

(وَٱللَّهُ غَنِيٌّ)

(و لا يزكيهم) لا يطهرهم من دنس ذنوبهم
(و لهم عذاب أليم) أي مؤلم قال الواحدي هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعة
(المسبل) هو المرخي إزاره الجار طرفة خيلاء]

عنها، و مع هذا فهو

(حَلِيمٌ)

على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه،

و لكن رحمته و إحسانه و حلمه يمنعه من معاجلته للعاصين،

بل يمهلهم و يُصرّف لهم الآيات لعلهم يرجعون إليه و ينيبون إليه،

فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم و لا تغني عنهم الآيات

و لا تفيد بهم المثلات أنزل بهم عقابه و حرمهم جزيل ثوابه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ)

ينهى عباده تعالى لطفا بهم و رحمة عن إبطال صدقاتهم بالمنّ و الأذى

ففيه أن المنّ و الأذى يبطل الصدقة،

–و يستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة،

كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾الحجرات: ٢

-فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات،
و في هذه الآية مع قوله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾محمد: ٣٣

حث على تكميل الأعمال و حفظها من كل ما يفسدها لئلا يضيع العمل سدى،

و قوله:(وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ)

أي: أنتم و إن قصدتم بذلك وجه الله في ابتداء الأمر،

فإن المنة و الأذى مبطلان لأعمالكم،

فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس و لا يريد به الله والدار الآخرة،

فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود،

-لأن شرط العمل أن يكون لله وحده و هذا في الحقيقة عمل للناس لا لله،

فأعماله باطلة و سعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله

(فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ)

و هو الحجر الأملس الشديد

(عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ)

أي: مطر غزير

(فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ

أي: ليس عليه شيء من التراب،

فكذلك حال هذا المرائي:-

قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان

و صدقته و نحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان،

إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات،

فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب و تبين أن عمله بمنزلة السراب،

و أن قلبه غير صالح لنبات الزرع و زكائه عليه،

بل الرياء الذي فيه و الإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله،

فلهذا قال(لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ)

***الميسر:و لا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه.**

Oمن أعمالهم التي اكتسبوها، لأنهم وضعوها في غير موضعها

و جعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضررا و لا نفعا

و انصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية،

فلهذا قال:(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ
كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا
وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ
مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ
ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ
تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧
ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ
وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ
ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ
كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا
وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ

هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم و تقبل به صدقاتهم

فقال تعالى: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ)

أي: قصدهم بذلك رضى ربهم و الفوز بقربه

(وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ)

أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به،

لا على وجه التردد و ضعف النفس في إخراجها

و ذلك أن النفـــــقة يعرض لها آفتـــــان:-

1-إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس و مدحهم و هو الـــــرياء

2-أو يخرجها على خـــــور و ضـــــعف عزيمة و تـــــردد

فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، و تثبيتا من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء

(كَمَثَلِ جَنَّةٍ)

أي:كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، من الاجتنان

و هو [الستر]لستر أشجارها ما فيها، و هذه الجنة

(بِرَبْوَةٍ)

أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار و وسطه و آخره،

فثماره أكثر الثمار و أحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح و الشمس،

فـــــ(أَصَابَهَا)

أي: تلك الجنة التي بربوة

(وَابِلٌ)

و هو المطر الغزير (الاعجاز العلمي)

(فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ)

أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها و وجود الأسباب الموجبة لذلك،

و حصول الماء الكثير الذي ينميها و يكملها

(فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ)

أي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها،

فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة و القليلة كل على حسب حاله،

و كل ينمى له ما أنفق أتم تنمية و أكملها

و المنمي لها هو الذي أرحم بك من نفسك،

الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها،

فيالله لو قُدِر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم

و تزاحم عليه كل أحد، و لحصل الاقتتال عنده،

مع انقضاء هذه الدار و فنائها و كثرة آفاتها وشدة نصبها وعنائها،

✡و هذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان،

دائم مستمر فيه أنواع المسرات و الفرحات،

☼و مع هذا تجد النفوس عنه راقدة، و العزائم عن طلبه خامدة،

-أترى ذلك زهدا في الآخرة و نعيمها،

أم ضعف إيمان بوعد الله و رجاء ثوابه؟!

☼و إلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين و باشر الإيمان به بشاشة قلبه:-

1-لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه،

2-و توجهت همم عزائمه إليه،

3-و طوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات،

و لهذا قال تعالى:(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ)

فيعلم عمل كل عامل و مصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء

ثم قال تعالى:

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ

*** صحيح البخاري

4538 - قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ:

فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} [البقرة: 266]؟

قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»،

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ،

قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»،
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ،
قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟»
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ،
قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ»( )
*** وَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ كِفَايَةٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ،
وَ تَبْيِينِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَثَلِ بِعَمَلِ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ أَوَّلًا
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ انْعَكَسَ سَيْرُهُ، فَبَدَّلَ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ،
فَأَبْطَلَ بِعَمَلِهِ الثَّانِي مَا أَسْلَفَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الصَالِحِ
-وَاحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ فِي أَضْيَقِ الْأَحْوَالِ،
فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَ خَانَهُ أحوجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ،
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ} وَ هُوَ الرِّيحُ الشَّدِيدُ
{فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} أَيْ: أَحْرَقَ ثمارها وَ أَبَادَ أَشْجَارَهَا، فَأَيُّ حَالٍ يَكُونُ حَالُهُ.

(تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ)

–وهذا المثل مضروب لمن عمل عملا لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها
ثم عمل أعمالا تفسده،
فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات،
و خص منها [النخل و العنب] لفضلهما و كثرة منافعهما،

(منها شيء) أي من العلم بتفسيرها.
(أغرق أعماله) أضاع ثواب أعماله الصالحة بما ارتكب من المعاصي]

لكونهما [غذاء و قـــوتا و فـــاكهة و حلـــوى]

(تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)

و تلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة،

(لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ)

(وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ)

و كان صاحبها قد اغتبط بها و سرته

ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن العمل و زاد حرصه،

(وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ)

و كان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له، بل هم كَلٌ عليه،

و نفقته و نفقتهم من تلك الجنة،

(فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ)

فبينما هو كذلك إذ أصاب تلك الجنة إعصار

و هو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو،

و في ذلك الإعصار نار

(فَٱحۡتَرَقَتۡۗ) تلك الجنة،

☼فلا تسأل عما لقي ذلك الذي أصابه الكبر من [الهم و الغم و الحزن]

فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن،

✪ذلك من عمل عملا لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع و الثمار،

✪و لا يزال كذلك حتى يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن و البهاء، و تلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار،

✪و العبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات و كان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباء منثورا،

و وجد الله عنده فوفاه حسابه. و الله سريع الحساب

✪فلو علم الإنسان و تصور هذه الحال و كان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته و نهاية حسرته

✪و لكن ضعف الإيمان و العقل و قلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التي لو صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيما و خطره جسيما،

فلهذا أمر تعالى بالتفـــــكر و حــــــثَّ عليه، فقال:–

(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب،

(وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ)

و مما أخرج لهم من الأرض فكما منَّ عليكم بتسهيل تحصيله

فأنفقوا منه شكرا لله و أداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، و تطهيرا لأموالكم،

(وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ)

و اقصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم،

و لا تيمموا الـــــرديء الذي لا ترغبونه

(وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ)

و لا تأخذونه إلا على وجه الإغماض و المسامحة

***فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ لِي مَا لَا تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ،
وَ حَقِّي عَلَيْكُمْ مِنْ أَطْيَبِ أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفَسِهِ!!

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ)

فهو غني عنكم و نفع صدقاتكم و أعمالكم عائد إليكم،

و مع هذا فهو (حَمِيدٌ)على ما يأمركم به من:-

[الأوامر الحميدة و الخصال السديدة]

***أَيِ: الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ وَ شَرْعِهِ وَ قَدَرِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،
وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

☼فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب و حياة النفوس و نعيم الأرواح

***كقوله﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾
الحج: ٣٧

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

سنن الترمذي ت شاكر

2987 - عَنْ البَرَاءِ، {وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ}

[البقرة: 267] قَالَ:

«نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ
فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ،
وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالقِنْوِ وَالقِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي المَسْجِدِ،
وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ،
فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى القِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنَ البُسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ،
وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لَا يَرْغَبُ فِي الخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَالحَشَفُ وَبِالقِنْوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ}

[البقرة: 267]

قَالُوا: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا أَعْطَى،
لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ».
قَالَ: «فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحِ مَا عِنْدَهُ»: "

(ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ)

و إياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك،

و يخوفكم بالفقر و الحاجة إذا أنفقتم،

و ليس هذا نصحا لكم، بل هذا غاية الغش

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

فاطر: ٦

☼بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم و لا يضركم،

{وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ }

يَأْمُرُكُمْ بِالْمَعَاصِي وَ الْمَآثِمِ وَ الْمَحَارِمِ وَ مُخَالَفَةِ الخَلَّاق

(وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ)

لذنوبكم و تطهيرا لعيوبكم

(وَفَضۡلٗاۗ)

و إحسانا إليكم في الدنيا و الآخرة، مـــــن:-

1- الخلـــــف العاجل،

2-و انشـــــراح الصدر

3- و نعيـــــم القلب و الروح و القبر،

4-و حصـــــول ثوابها و توفيتها يوم القيامة،

و ليس هذا عظيما عليه لأنه

(وَٱللَّهُ وَاسِعٌ)

الفضل عظيم الإحسان

(عَلِيمٌ)

بما يصدر منكم من النفقات قليلها و كثيرها، سرها و علنها،

فيجازيكم عليها من سعته و فضله و إحسانه،

فلينظر العبد نفسه إلى أي الداعيين يميل،

-فقد تضمـــــنت هاتان الآيتـــان أمورا عظيمة:-

1-منها: الحث على الإنفـــاق،

2-و منها: بيان الأسباب الموجبة لذلك،

3-و منها: وجوب الزكاة من النقدين و عروض التجارة كلها،

لأنها داخلة في قوله: (مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ)

4-و منها: وجوب الزكاة في الخارج من الأرض من الحبوب و الثمار و المعادن،

5-و منها: أن الزكاة على من له الزرع و الثمر لا على صاحب الأرض،

لقوله (وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ)

فمن أخرجت له وجبت عليه

6-و منها: أن الأموال المعدة للاقتناء :-

○من العقارات و الأواني و نحوها ليس فيها زكاة،

❍و كذلك الديون و الغصوب و نحوهما إذا كانت مجهولة،

❍أو عند من لا يقدر ربها على استخراجها منه، ليس فيها زكاة،

لأن الله أوجب النفقة من الأموال التي يحصل فيها النماء الخارج من الأرض،

و أموال التجارة مواساة من نمائها،

7–و أما الأموال التي غير معدة لذلك و لا مقدورا عليها فليس فيها هذا المعنى،

8–و منها: أن الرديء ينهى عن إخراجه و لا يجزئ في الزكاة ثم قال تعالى:

(يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)

لما أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتملة على الأسرار و الحكم

و كان ذلك لا يحصل لكل أحد،

(وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ)

بل لمن منَّ عليه و آتاه الله الحكمة،

و هي العلم النافع و العمل الصالح و معرفة أسرار الشرائع وحكمها،

و إن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرا كثيرا

و أي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين و النجاة من شقاوتهما!

و فيه التخصيص بهذا الفضل و كونه من ورثة الأنبياء،

فكمال العبد متوقف على الحكمة،

إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية و العملية :-

❍فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق و معرفة المقصود به،

❍و تكميل قوته العملية بالعمل بالخير و ترك الشر،

و بذلك يتمكن من الإصابة بالقول و العمل

و تنزيل الأمور منازلها في نفسه و في غيره، و بدون ذلك لا يمكنه ذلك،

و لما كان الله تعالى قد فطر عباده على عبادته و محبة الخير و القصد للحق،

فبعث الله الرسل مذكرين لهم بما ركز في فطرهم و عقولهم،

و مفصلين لهم ما لم يعرفوه،

☼انقسم النــــــاس قسمــــــين :-

1-قسم أجابوا دعوتهم فتذكروا ما ينفعهم ففعلوه، و ما يضرهم فتركوه،

و هؤلاء هم أولو الألباب الكاملة، و العقول التامة،

2-و قسم لم يستجيبوا لدعوتهم، بل أجابوا ما عرض لفطرهم من الفساد،

و تركوا طاعة رب العباد، فهؤلاء ليسوا من أولي الألباب،

فلهذا قال تعالى: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ)

*** صحيح البخاري 73 - عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

" لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَــــــيْنِ:

1-رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ،

2-وَ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَ يُعَلِّمُهَا "( )

الاعجاز العلمي في (مثل جنة بربوة)

http://www.quran-m.com/firas/arabicold/print_details.php?page=show_det&id=247

فقد شبه الله سبحانه وتعالى الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، و تثبيتاً من أنفسهم بالبستان المرتفع للأسباب العلمية النباتية التالية :

أولاً : البستان المرتفع من ناحية التربة الزراعية :

1. هي أجود الأراضي الزراعية في المكان بشرط توافر المياه و وصولها إلى الزرع .
2. مرتفعة عن مستوى المياه الجوفية، التي تحدد عمق الجذور و تضر بالنبات وتسبب له الأمراض.
3. صرفها جيد و لا تتراكم فيها الأملاح
4. لا يغرقها المطر الشديد و لا يتلف زرعها.

ثانياً : البستان المرتفع من ناحية الري :

1. هذا البستان يروى بالراحة وبأحدث أساليب الري التي توصلنا إليها أخيراً و هو الري بالرش (الوابل والطل).
2. إذا زاد المطر فإن نباتاتها لا تفسد و لا تموت لارتفاعها عن الأرض .
3. إذا غاب عنها المطر الشديد أصابها الطل و الندى و الرذاذ الخفيف .

ثالثاً : البستان المرتفع من ناحية الرياح:

1. الرياح المحملة بالمياه (الأمطار) تمطرها و ترويها بالرش و لا تفسدها.

(لا حسد) المراد حسد الغطبة وهو أن يرى النعمة في غيره فيتمناها لنفسه من غير أن تزول عن صاحبها وهو جائز ومحمود.

(فسلط على هلكته في الحق) تغلب على شح نفسه و أنفقه في وجوه الخير.

(الحكمة) العلم الذي يمنع من الجهل ويزجر عن القبيح]

2.الرياح المحملة بالندى ترويها ، لخفة الندى
و حمل الرياح له في مستوى مرتفع يصيب البستان العالي .
3.الرياح المحملة بالأتربة والرمال لا تفسدها لثقل الرمال و وجودها في طبقة سفلى في الرياح،
و هذه الرمال لا تدفنها لارتفاع الجنة عن مستوى الأرض.
4.الرياح المحملة بحبوب اللقاح تلقحها و تضاعف ثمارها.

رابعاً : البستان المرتفع من ناحية الحرارة :

الجنة بالربوة العالية درجة حرارتها معتدلة ، فالأماكن المنخفضة ذات حرارة عالية والأماكن المرتفعة ذات حرارة منخفضة
أما الجنة بالربوة فدرجة حرارتها بين الدرجتين ، درجة الحرارة المرتفعة (في الأماكن المنخفضة)و درجة الحرارة المخفضة(في الأماكن المرتفعة) [أي معتدلة].

خامساً : مميزات المزروعات في البستان المرتفع :

1.أزهارها واضحة ، تراها الحشرات من بعيد ، فتزورها وتنقل بينها حبوب اللقاح وتزيد من إنتاجيتها .
2.نباتاتها معرضة للضوء اللازم لعملية البناء الضوئي ولحياة النبات .
3.بعيدة عن الرعي الجائر للأغنام و الإبل و الأبقار
4.جذورها عميقة و لا تقتلع الرياح أشجارها بسهولة .

سادساً : البستان المرتفع من ناحية الثمار:

أجود أنواع الثمار ،و أعلاها إنتاجية في المنطقة و أقلها إصابة بالأمراض .

سابعاً : الحراسة والمراقبة في البستان المرتفع :

حراسة الأرض المرتفعة أسهل ومراقبتها أيسر حتى أن نقاط المراقبة الحصينة و الممتازة دائماً تكون على مرتفع الأرض.

فهل كان النبي ﷺ عالماً بعلم النبات ، وعلم الأرصاد الجوية والبيئة النباتية ، والمياه الجوفية والتربة الزراعية حتى يضرب هذا المثل العلمي المحكم ، حيث مثل إنفاق المؤمنين بالجنة العالية المكان والتي تروى بالراحة وبأحدث وسائل الري ، وتؤتي أكلها ضعفين بإذن ربها.

هذا المثل يدلل على أن القرآن الكريم معجز ،

و أن به من المعجزات ما يجعله صالحاً لكل زمان ومكان

و كل يوم يرينا الله سبحانه وتعالى آياته في كتابه الكريم وفي أنفسنا وفي كونه البديع وقال تعالى :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

بقلم الدكتور نظمي خليل أبو العطا موسى

أستاذ علوم النبات في جامعة عين شمس

ومدير مركز ابن النفيس للخدمات الفنية في البحرين

وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا
ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ
وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا
تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ
أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ
يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ
ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ
رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنۡ أَنصَارٍ

(وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ)

و هذا فيه المجازاة على النفقات، واجبها و مستحبها، قليلها و كثيرها، التي أمر الله بها،

(أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ)

و النذور التي ألزمها المكلف نفسه،

(فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ)

و إن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شيء،و يعلم ما صدرت عنه، هل هو الإخلاص أو غيره،

-فإن صدرت عن إخلاص و طلب لمرضاة الله جازى عليها بالفضل العظيم و الثواب الجسيم،

-و إن لم ينفق العبد ما وجب عليه من النفقات و لم يوف ما أوجبه على نفسه من المنذورات، أو قصد بذلك رضى المخلوقات،

➔فإنه ظالم قد وضع الشيء في غير موضعه،و استحق العقوبة البليغة، و لم ينفعه أحد من الخلق ولم ينصره،

فلهذا قال: (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) .

***يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله و نقمته

إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ)

فتظهروها و تكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله

(فَنِعِمَّا هِيَ)

أي: فَنَعْمَ الشيء

(هي)

لحصول المقصود بها

(وَإِن تُخۡفُوهَا)

أي: تسروها

(وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ)

ففي هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية

***((لأنه أبعد عن الرياء))

و أما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية:-

أن السر ليس خيرا من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة،

-فإن كان في إظهارها :-

1-إظهار شـــــعائر الدين

2-و حصول الاقتداء و نحوه،

فهو أفضل من الإسرار،

-و دل قوله:(وتؤتوها الفقراء)

على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين،

و لا يعطي محتاجا و غيره أحوج منه،

***و الاصل أن الاصرار أفضل لهذه الاية و ما ثبت في صحيح البخاري

660 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَاظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

1- الإِمَامُ العَادِلُ،

2-وَ شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ،

3-وَ رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ،

4-وَ رَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ،

5-وَ رَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَ جَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ،

6-<u>وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ،</u>

7-وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "( )

(سبعة) أشخاص وكل من يتصف بصفاتهم.

(ظله) ظل عرشه وكنف رحمته.

(معلق في المساجد) أي شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها.

(اجتمعا عليه) اجتمعت قلوبهما وأجسادهما على الحب في الله.

(تفرقا) استمرا على تلك المحبة حتى فرق بينهما الموت.

(طلبته) دعته للزنا.

(ذات منصب) امرأة لها مكانة ووجاهة ومال ونسب.

(أخفى) الصدقة وأسرها عند إخراجها.

(لا تعلم شماله) كناية عن المبالغة في السر والإخفاء.

(خاليا) من الخلاء وهو موضع ليس فيه أحد من الناس.

(ففاضت عيناه) ذرفت بالدموع إجلالا لله وشوقا إلى لقائه]

و لما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق و يتضمن ذلك حصول الثواب

قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾

ففيه دفع العقاب

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

من خير و شر، قليل و كثير و المقصود من ذلك المجازاة.

لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ
أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا
تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس

قال كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت

{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ولـٰكِنَ الله يهدي من يشاء

-يقول تعالى لنبيه ﷺ ليس عليك هدي الخلق، و إنما عليك البلاغ المبين،

و الهداية بيد الله تعالى،

-ففيها دلالة على أن النفقة كما تكون على المسلم تكون على الكافر

و لو لم يهتد،

فلهذا قال: (وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ)

أي: قليل أو كثير على أي شخص كان من مسلم و كافر

(فَلِأَنفُسِكُمْ) أي: نفعه راجع إليكم

(وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ)

هذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى،

لأن إيمـــــانهم :-

1-يمنـــــعهم عن المقاصد الردية

2-و يوجب لهم الإخــــلاص

(وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ)

يوم القيامة تستوفون أجوركم

(وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)

***صحيح مسلم

1022عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

" قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ

1-فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ،

قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ،

2-فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ:

تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ،

3-فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ:

تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ:

اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ،

فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ،

أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا،

وَ لَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ،

وَ لَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ "

أي: تنقصون من أعمالكم شيئا و لا مثقال ذرة، كما لا يزاد في سيئاتكم.

ثم ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات:-

أحدها:- الفـــــقر،

والثاني:- قوله: (أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)

***الجزائري:حُبِسوا و مُنعوا من التصرف لأنهم هاجروا من بلادهم.**

أي: قصروها على طاعة الله من جهاد و غيره،

فهم مستعدون لذلك محبوسون له،

الثالث :–عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال:

(لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ)

أي: سفرا للتكسب،

الرابع قوله:– (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ)

و هذا بيان لصدق صبرهم و حسن تعففهم.

***صحيح البخاري

1479 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ
تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَ اللُّقْمَتَانِ، وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ،
وَ لَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَ لاَيُفْطَنُ بِهِ،
فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»

الخامس:– أنه قال: (تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ)

أي: بالعلامة التي ذكرها الله في وصفهم،

و هذا لا ينافي قوله: (يحسبهم الجاهل أغنياء)

فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة يتفرس بها ما هم عليه،

و أما الفطن المتفرس فمجرد ما يراهم يعرفهم بعلامتهم،

السادس قوله:– (لَا يَسْـَٔلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا)

أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أي: [إلحاح]

بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألوا،

فهؤلاء أولى الناس و أحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات،

○و أما النفقة من حيث هي على أي شخص كان،

فهي خير وإحسان و بر يثاب عليها صاحبها و يؤجر،

فلهذا قال: (وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ) .

ثم ذكر حالة المتصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال:

(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم)

أي: طاعته و طريق مرضاته،لا في المحرمات والمكروهات و شهوات أنفسهم

(بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ)

أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم

***صحيح البخاري

56 - عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا،
حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»( )

***صحيح البخاري

55 - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»( )

(في في امرأتك) في فم امرأتك أي ثتاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام و غيره
أو المراد ما تطعمه زوجتك بيدك مؤانسة وحسن معاشرة]
(أهله) هم الزوجة والولد وغيرهما ممن هم في رعايته.
(يحتسبها) يريد بها وجه الله تعالى]

(وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ) إذا خاف المقصرون

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)

إذا حزن المفرطون،

ففازوا بحصول المقصود المطلوب، و نجوا من الشرور و المرهوب،

و لما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عباده بأنواع النفقات :-

ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ
ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن
جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا
يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ
تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا
تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن
تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

.

(ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ)

***صحيح البخاري 7047-

قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ -حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ،
وَ إِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ،
وَ إِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً،

وَ إِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ،
ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ،
فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ،
ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجعَ إِلَيْهِ فَغرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا.........................
وَ أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَ يُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا»

-يخبر تعالى عن أكلة الربا و سوء مآلهم و شدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم

(إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ)

أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النكال و عسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟)

و هذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده،

جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين،

و يحتمل أن يكون قوله:

(لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)

أنه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية :-

1-خفـــــت أحلامهم

2-و ضعـــــف آراؤهم،

3-و صاروا في هيئتهم و حركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها

4–و انســـــلاخ العقل الأدبي عنهم،

قال الله تعالى رادا عليهم ومبينا حكمته العظيمة (وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ)

أي: لما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة و حصول الضرر بتحريمه،

–و هذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع

(وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ)

لما فيه من الظلم و سوء العاقبة،

و الــــربا نـــــوعان:–

1– ربا نسيئـــــة

كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسيئة، و منه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم،

2–و ربا فضــــل،

و هو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلا

–و كلاهما محرم بالكتاب و السنة، و الإجماع على ربا النسيئة،

–و شذ من أباح ربا الفضل و خالف النصوص المستفيضة،

–بل الربا من كبائر الذنوب و موبقاتها

(فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ)

أي: وعظ و تذكير و ترهيب عن تعاطي الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ، و إقامة للحجة عليه

(فَٱنتَهَىٰ)

عن فعله و انـــــزجر عن تعاطيه

(فَلَهُۥ مَا سَلَفَ)

أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة،

–دل مفهوم الآية أن من لم ينته جـــــوزي بالأول و الآخر

***صحيح مسلم -1218

قال النبيﷺ في فتح مكة:-

وَ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ،

وَ أَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،

فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ)

***وَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِرَدِّ الزِّيَادَاتِ الْمَأْخُوذَةِ فِي حَالِ الْجَاهِلِيَّةِ،

بل عفا عما سلف، كما قال(فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)

(وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)

في مجازاته و فيما يستقبل من أموره

صلى

(وَمَنْ عَادَ)

إلى تعاطي الربا و لم تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك

***فقد استوجب العقوبة و قامت عليه الحجة

(فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله،

و الأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات و مقتضيات لذلك،

-و لكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه،

و قد علم بالكتاب والسنة و إجماع سلف الأمة أن :-

[التوحـــــيد و الإيمـــــان مانع من الخلود في النار]

فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحا للخلود فيها بقطع النظر عن كفره.

***صحيح البخاري

4544 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ

«آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺآيَةُ الرِّبَا»

***صحيح مسلم

1598 عَنْ جَابِرٍ، قَالَ:

«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺآكِلَ الرِّبَا، وَ مُؤْكِلَهُ، وَ كَاتِبَهُ، وَ شَاهِدَيْهِ»،

وَ قَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ»

ثم قال تعالى: (يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ)

أي: يذهبه و يذهب بركته ذاتـــــا و وصـــــفا،

–فيكون سببا لوقوع الآفـــــات فيه و نـــــزع البركة عنه،

و إن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له إلى النار

***كقوله﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾المائدة: ١٠٠

(وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ)

أي: ينميـــــها و ينزل البركة في المال الذي أخرجت منه

–و ينمي أجر صاحبها و هذا لأن الجزاء من جنس العمل،

–فإن المرابي قد ظلم الناس و أخذ أموالهم على وجه غير شرعي،

←فجوزي بـــــذهاب مـــــاله،

–و المحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه،

فيحسن عليه كما أحسن على عباده

***صحيح البخاري

7430 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ،

وَ لاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ،

فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ،

ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ( )

(بعدل تمرة) ما يعادلها وزنا أو قيمة.

(﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾)

لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات،

و لا يسلم منه و من شره عباد الله

(أَثِيمٍ) أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه و عقوبته.

*** ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَادِحًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ، الْمُطِيعِينَ أَمْرَهُ، الْمُؤَدِّينَ شُكْرَهُ، الْمُحْسِنِينَ إِلَى خَلْقِهِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،

مُخْبِرًا عَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَأَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ التَّبِعَاتِ آمِنُونَ،

(﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾)

(كسب طيب) حلال ومن طريق مشروع.

(يصعد) يقبل.

(يتقبلها بيمينه) الله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة مخلوقاته في صورهم وأشكالهم فيمينه جل وعلا يمين تليق به وليست جارحة كجوارحنا وهو تعالى أعلم بها وإنما ندرك نحن من هذا أن الله تعالى يتقبل هذه الصدقة قبولا حسنا ويجزل العطاء لصاحبها لأن اليمين تصان عادة عن مس الأشياء الدنية وهو عنوان الرضا وحسن القبول والله تعالى أعلم.

(يربيها) ينميها ويزيد في أجرها

(فلوه) المهر إذا فطم.

(مثل الجبل) كما لو كان تصدق بمقدار الجبل]

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ)

لما ذكر أكلة الربا و كان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيمانا ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين و أجرهم،

و خاطبهم بالإيمان،

(وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

***** اتْرُكُوا مَا لَكَمَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ، [بَعْدَ هَذَا الْإِنْذَارِ]**

و نهاهم عن أكل الربا {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}

أَيْ: بِمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْبَيْعِ، وَ تَحْرِيمِ الرِّبَا وَ غَيْرِ ذَلِكَ.

–و هؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم و ينقادون لأمره،

و أمرهم أن يتقـــــوه،

و من جملة تقواه أن يذروا ما بقي من الربا

أي: المعاملات الحاضرة الموجودة،

و أما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف،

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)

و أما من لم ينزجر بموعظة الله و لم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له،

و هو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم و لا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر

(وَإِن تُبۡتُمۡ) عن الربا

(فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ)

أي: أنزلوا عليها

(لَا تَظۡلِمُونَ)

من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا

(وَلَا تُظۡلَمُونَ)

بنقص رءوس أموالكم.

(وَإِن كَانَ)

المدين

(ذُو عُسۡرَةٖ)

لا يجد وفاء

(فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ)

و هذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به

(وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

إما بـــــــإسقاطها أو بعضها.

(وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

*** يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً، فَقَالَ:

{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} أَيْ :
لَا كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ لِمَدِينِهِ إِذَا حَلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ: -
1-إِمَّا أَنْ تَقْـــــضِيَ
2-وَ إِمَّا أَنْ تُـــــرْبِيَ.
-ثُمَّ يَنْدُبُ إِلَى الْوَضْعِ عَنْهُ، وَ يَعِدُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرَ وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَقَالَ:
{وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}
أَيْ: وَ أَنْ تَتْرُكُوا رَأْسَ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ وَ تَضَعُوهُ عَنِ الْمَدِينِ.
وَ قَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ:
*** مسند أحمد مخرجا
23046 عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ» ،
قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ» ،
قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ:
«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ» ،
ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ» ،
قَالَ لَهُ: «بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ،
فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»
*** صحيح البخاري 2078 –
عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
" كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ:
تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ "( )

(يداين الناس) يبيعهم مع تأخير الثمن إلى أجل]

(وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)

و هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن (Ð)

و جعلت خاتمة لهذه الأحكام و الأوامر و النواهي،

لأن فيها الوعد على الخير، و الوعيد على فعل الشر،

و أن من علم أنه راجع إلى الله :-

فمجازيه على الصغير و الكبير و الجلي و الخفي،

و أن الله لا يظلمه مثقال ذرة، أوجب له الرغبة و الرهبة،

و بدون حلول العلم في ذلك في القلب لا سبيل إلى ذلك.

السنن الكبرى للنسائي

10991 - ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ} [البقرة: 281]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب
بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ
وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي
عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ
وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ
مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ
ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ
أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ
تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ
وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ
وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ)

***هَذَا إِرْشَادٌ مِنْهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَعَامَلُوا بِمُعَامَلَاتٍ مُؤَجَّلَةٍ أَنْ يَكْتُبُوهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَحْفَظَ لِمِقْدَارِهَا وَ مِيقَاتِهَا، وَ أَضْبَطَ لِلشَّاهِدِ فِيهَا،

وَ قَدْ نَبَّهَ عَلَى هَذَا فِي آخِرِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ:

{ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ } ج

***السنن الكبرى للبيهقي

11087 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ الْمَضْمُونَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ
وَ أَذِنَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}
[البقرة: 282] "

***صحيح البخاري

2239 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ،
وَالنَّاسُ يُسْلِفُونَ فِي الثَّمَرِ العَامَ وَ العَامَيْنِ، أَوْ قَالَ:
عَامَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً، شَكَّ إِسْمَاعِيلُ،
فَقَالَ: «مَنْ سَلَّفَ فِي تَمْرٍ، فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَ وَزْنٍ مَعْلُومٍ»( )

-هذه آية الدين، و هي أطول آيات القرآن،

و قد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة و المقدار،

أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم و غيره،

(يسلفون) من السلف وهو بيع على موصوف في الذمة ببدل يعطى عاجلا وسمي سلفا لتقديم رأس المال ويسمى أيضا سلما لأنه يشترط فيه تسليم رأس المال في مجلس العقد]
قال الشيخ العدوي:هو أن يدفع قيمة الشئ مقدما علي أن يستلم الشئ بعد زمن معين و لكن ينبغي أن يكون المبيع موصوفا وصفا كاملا فيكون معلوم الوزن و الكيل و كذا الصنف و كذا وقت التسليم

لأن الله أخبر عن المداينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها،

و ذلك يدل على الجواز،

الثاني و الثالث:-أنه لا بد للسلم من أجل

و أنه لا بد أن يكون معينا معلوما فلا يصح حالا و لا إلى أجل مجهول،

الرابع:- الأمر بكتابة جميع عقود المداينات

إما وجوبا و إما استحبابا لشدة الحاجة إلى كتابتها،

لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط و النسيان و المنازعة و المشاجرة

شر عظيم،

الخامس:- أمر الكاتب أن يكتب،

(فَٱكْتُبُوهُ ۚ)

*** أَمْرٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالْكِتَابَةِ وَ الْحَالَةُ هَذِهِ لِلتَّوْثِقَةِ وَ الْحِفْظِ

*** وَقَالَ بعض من أهل العلم: كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا، ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ:

[فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ] [البقرة: 283]

و الدليل على ذلك أيضا الحديث الذي حكي عن شرع من قبلنا مقررا في شرعنا ولم ينكر عدم الكتابة و الإشهاد.

*** صحيح البخاري

1498 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

«أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ،

فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَخَرَجَ فِي البَحْرِ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا،

فَأَخَذَ خَشَبَةً، فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ،

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا»، فَذَكَرَ الحَدِيثَ فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ( )

السادس:- أن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته،

لأن الفاسق لا يعتبر قوله و لا كتابته،

السابع:-

أنه يجب عليه العدل بينهما،فلا يميل لأحدهما لقرابة أو صداقة أو غير ذلك،

الثامن: أن يكون الكاتب عارفا بكتابة الوثائق و ما يلزم فيها كل واحد منهما،

و ما يحصل به التوثق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك،

و هذا مأخوذ من قوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ﴾

***من غير زيادة و لا نقصان

التاسع:- أنه إذا وجدت وثيقة بخط المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها،

و لو كان هو و الشهود قد ماتوا،

العاشر:- قوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾

أي: لا يمتنع مَنْ منَّ الله عليه بتعليمه الكتابة أن يكتب بين المتداينين،

فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته،

ش (يسلفه) يقرضه.

(مركبا) سفينة يركب عليها.

(نقرها) قورها و جوفها.

(الحديث) أي بأطول مما هنا كما تحصل عليه إذا نظرت في مواضعه]

و لا يمتنع من الكتابة لهم،

*** صحيح البخاري

2518 عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺأَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ»،

قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»،

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ»،

قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ:

«تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»( )

(وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ)

الحادي عشر:- أمر الكاتب أن لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق

***الدين

الثاني عشر: أن الذي يملي من المتعاقدين من عليه الدين،

(وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـًٔا)

الثالث عشر: أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه و لا يبخس منه شيئا،

(الرقاب) جمع رقبة وهي العبد المملوك ذكرا أم أنثى.
(أفضل) أكثر ثوابا في العتق.
(أنفسها) التي يرغبها مالكوها أكثر من غيرها.
(تصنع لأخرق) تساعد من لا يحسن الصناعة]

الرابع عشر: أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجبه ومضمونه،

و هو ما أقر به على نفسه، و لو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهوا،

الخامس عشر: أن من عليه حقا من الحقوق التي البينة على مقدارها و صفتها من كثرة و قلة و تعجيل و تأجيل،أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق،

لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه،

إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق و صفته،

السادس عشر: أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخس و ينقص شيئا من مقداره، أو طيبه و حسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه و لواحقه،

(فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ)

السابع عشر: أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء و الإقرار،

الثامن عشر: أنه يلزم الولي من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل، و عدم البخس لقوله (بالعدل)

التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولي، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق،

العشرون: ثبوت الـــــولاية في الأموال،

الحادي والعشرون:

أن الحق يكون على الصغير و السفيه و المجنون و الضعيف، لا على وليهم،

الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير و السفيه و المجنون و المعتوه و نحوهم و تصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم،

و لم يجعل لهم منه شيئا لطفا بهم و رحمة، خوفا من تلاف أموالهم،

الثالث و العشرون: صحة تصرف الولي في مال من ذُكر،

الرابع و العشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوثق بها المتداينون كل واحد من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثق و العدل،

و ما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع،

الخامس و العشرون: أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية،

لأن الله أمر بكتابة الديون وغيرها، و لا يحصل ذلك إلا بالتعلم،

السادس و العشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود،

و ذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين،

نعم إن كان المتصرف ولي يتيم أو وقف و نحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي به يحفظ الحق واجبا،

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾

*** صحيح مسلم

79-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:
«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»
فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟
قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»
قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَ مَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَ الدِّينِ؟
قَــــــالَ:
أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَ تَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَ تُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ " ( )
(الاعجاز العلمي)

السابع والعشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال و نحوها رجلان أو رجل و امرأتان، و دلت السنة أيضا أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي،
الثامن والعشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل،
التاسع والعشرون: أن شهادة النساء منفردات في الأموال و نحوها لا تقبل، لأن الله لم يقبلهن إلا مع الرجل،
و قد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها و هي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات والله أعلم.

(العشير) هو في الأصل المعاشر مطلقا والمراد هنا الزوج
(لب) اللب هو العقل والمراد كمال العقل]

الثلاثون: أن شهادة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله:

(وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ) و العبد البالغ من رجالنا،

الحادي و الثلاثون: أن شهادة الكفار ذكورا كانوا أو نساء غير مقبولة،

لأنهم ليسوا منا، و لأن مبنى الشهادة على العدالة و هو غير عدل،

الثاني و الثلاثون:

فيه فضيلة الرجل على المرأة، و أن الواحد في مقابلة المرأتين لقوة حفظه و نقص حفظها،

الثالث و الثلاثون:أن من نسي شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله:

(فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ)

الرابع و الثلاثون:

يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب،

و الخامس و الثلاثون:-

أنه يجب على الشاهد إذا دعي للشهادة و هو غير معذور،

لا يجوز له أن يأبى لقوله:(وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ)

***وَ قَالَ غير وَاحِدٍ: إِذَا دُعِيتَ لِتَشْهَدَ فَأَنْتِ بِالْخِيَارِ،
وَ إِذَا شَهِدْتَ فَدُعِيتَ فَأَجِبْ.
*** وَقَدْ ثَبَتَ فِي صحيح مسلم
1719 عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»( )
***صحيح مسلم -2535
«ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَ لَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَ يَخُونُونَ وَ لَا يُؤْتَمَنُونَ، وَ يَنْذِرُونَ وَ لَا يُوفُونَ، وَ يَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»
***قال بن كثير : و هؤلاء شهود الزور

السادس و الثلاثون: أن من لم يتصف بصفة الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها و لأنه ليس من الشهداء،

(وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ)

السابع و الثلاثون:النهي عن السآمة و الضجر من كتابة الديون كلها من صغير و كبير و صفة الأجل و جميع ما احتوى عليه العقد من الشروط و القيود،

الثامن و الثلاثون: بيان الحكمة في مشروعية الكتابة و الإشهاد في العقود، و أنه (ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ)

(ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها) الشهداء جمع شهيد بمعنى شاهد
قال الإمام النووي رضي الله عنه في المراد بهذا الحديث تأويلان أصحهما و أشهرهما تأويل أصحاب الشافعي:-
1-أنه محمول على من عنده شهادة لأنسان بحق ولا يعلم ذلك الإنسان أنه شاهد فيأتي إليه فيخبره بأنه شاهد له
2-و الثاني أنه محمول على شهادة الحسبة و ذلك في غير حقوق الآدميين المختصة بهم
3-وحكى تأويل ثالث أنه محمول على المجاز و المبالغة في أداء الشهادة بعد طلبها لا قبله كما يقال الجواد يعطي قبل السؤال أي يعطي سريعا عقب السؤال من غير توقف]

فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد و البلاد، و الشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم و أكمل و أبعد من الشك و الريب و التنازع و التشاجر،

التاسع و الثلاثون: يؤخذ من ذلك أن من اشتبه و شك في شهادته لم يجز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين،

الأربـــــــعون: قـــــوله:

(إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا)

فيه الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة،

الحادي و الأربعون:أنه و إن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع الإشهاد لقوله: (وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ)

*** أَشْهَدُوا عَلَى حَقِّكُمْ إِذَا كَانَ فِيهِ أَجَلٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ،
فَأَشْهَدُوا عَلَى حَقِّكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.
***قَالَ آخرون: هَذَا الْأَمْرُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِه:
{فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ}
وَ هَذَا الْأَمْرُ مَحْمُولٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ عَلَى الْإِرْشَادِ وَ النَّدْبِ،لَا عَلَى الْوُجُوبِ.
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ خُزَيمة بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ،
*** وَقَدْ رَوَاهُ فِي سنن أبي داود
3607 - عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ، أَنَّ عَمَّهُ، حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ،

فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺلِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ،
فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالْمَشْيَ وَ أَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ،
فَيُسَاوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺابْتَاعَهُ،
فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسِ وَإِلَّا بِعْتُهُ؟
فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺحِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ،
فَقَالَ: «أَوْ لَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟»
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَ اللَّهِ مَا بِعْتُكَهُ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلَى، قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ»
فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ، يَقُولُ هَلُمَّ شَهِيدًا،
فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ،
فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: «بِمَ تَشْهَدُ؟»،
فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺشَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ

الثاني و الأربعون:

النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال و حصول مشقة عليه،

الثالث و الأربعون:

النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك هذا على جعل قوله:

(وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ) مبنيا للمجهول،

و أما على جعلها مبنيا للفاعل ففيه نهي الشاهد و الكاتب أن يضارا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجرة شاقة و نحو ذلك،

و هذان هما الرابع و الأربعون و الخامس و الأربعون و السادس و الأربعون:

أن ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله:

(وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ)

السابع والأربعون:- أن الأوصاف كالفسق و الإيمان و النفاق و العداوة و الولاية و نحو ذلك تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، و كذلك مادة إيمان و كفر لقوله: (فإنه فسوق بكم)

و لم يقل فأنتم فاسقون أو فُسّاق.

الثامن و الأربعون: - و حقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه- اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: (مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ)

التاسع و الأربعون: أن العدالة يشترط فيها العرف في كل مكان و زمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته،

الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى،

فهذه الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة و الفهم القاصر،

و لله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ)

*** خَافُوهُ وَ رَاقِبُوهُ، وَ اتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَ اتْرُكُوا زَجْرَهُ

(وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ)

***كقوله﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾الأنفال: ٢٩

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد: ٢٨

(وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)

*** هُوَ عَالِمٌ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَ مَصَالِحِهَا وَ عَوَاقِبِهَا،
فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، بل علمه محيط بجميع الكائنات.

الاعجاز العلمي في (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخري)

http://www.quran-m.com/firas/arabicold/?page=show_det&id=1619&select_page=2

ففي دراسة حديثة قام بها علماء في (سيدني ـ أستراليا) ونشرت نتائجها على شبكة CNN وشبكة BBC الإخبارية بعنوان الدراسة:

Pregnancy does cause memory loss, study says

(الحمل يجعل الذاكرة أقل، الدراسة تقول ذلك).

أثبتت الدراسة أن الحمل يتسبب بضعف ذاكرة النساء،
وأن هذه الحالة تستمر لفترة ما بعد الولادة أحياناً حيث يتسبب الحمل في تناقص طفيف في عدد خلايا الذاكرة لدماغ الأم الحامل.

وقالت جوليا هنري، وهي إحدى العاملات على البحث من جامعة نيوساوث ويلز بسيدني، لشبكة CNN :

"ما وجدناه هو أن المجهود الذهني المرتبط بتذكر تفاصيل جديدة أو أداء مهام متعددة المراحل، يصاب باضطراب."

و أضافت: "قد تعجز المرأة الحامل مثلاً عن تذكّر رقم جديد، لكنها ستستعيد بسهولة الأرقام القديمة التي كانت تطلبها على الدوام."

و قالت هنري إنها قامت، مساعدة الدكتور بيتر ريندل، بوضع هذه الدراسة بالاعتماد على تحليل 12 بحث شمل مسحاً لقدرات النساء الذهنية قبل الولادة وبعدها.

ولفتت إلى أن النتائج تشير إلى احتمال استمرار حالة الاضطراب هذه بعد الولادة لعام كامل أحياناً، دون أن تؤكد بأن الوضع يتحسن بعد تلك الفترة بسبب الحاجة إلى المزيد من الأبحاث.

غير أن الدراسة لم تحدد أسباب هذه الظاهرة،
نظراً للحاجة إلى إجراء المزيد من الفحوصات المخبرية المعمقة،
وإن كانت قد استعرضت مجموعة من السيناريوهات المحتملة،
وفي مقدمتها تبدل هرمونات الجسد والتغيّر السريع في نمط العيش.

الخلاصة رأي العلم : -

المرأة الحامل تصاب ذاكرتها بالضعف و الاضطراب أثناء الحمل
و ربما تعاني من ضعف الذاكرة لمدة عام كامل أحياناً بعد الولادة
و ربما أكثر بسبب تناقص في عدد خلايا الذاكرة
و للأسباب غير معروفة لحد الآن.

۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا
فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا
فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ
وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ
مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ
مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا
يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا
وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦

۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا
فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا
فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ

(وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ)

أي: إن كنتم مسافرين

(وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا)

يكتب بينكم و يحصل به التوثق

(فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ)

أي: يقبضها صاحب الحق و تكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه،

و دل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثق،

و دل أيضا على أن الراهن و المرتهن لو اختلفا في قدر ما رُهِنَت به،

كان القول قول المرتهن،

و وجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة في توثق صاحب الحق،

فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنت به لم يحصل المعنى

المقصود، و لما كان المقصود بالرهن التوثق جاز حضرا و سفرا،

و إنما نص الله على السفر، لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه،

هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه،

*** صحيح البخاري

2508 عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

وَ لَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺدِرْعَهُ بِشَعِيرٍ،

وَ مَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺبِخُبْزِ شَعِيرٍ وَ إِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

«مَا أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا صَاعٌ، وَ لاَ أَمْسَى وَ إِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ»

***قال بن كثير:رهنها النبي ﷺ قوتا لاهله عند يهودي

(فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ)

فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه

و أحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له و لا باخس حقه

***عن أبي سعيد الخدري: هذه الآية نسخت ما قبلها

(وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ) في أداء الحق و يجازي من أحسن به الظن بالإحسان

***المؤْتَمَن

(وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ)

***تُخفوها و تُغْلُوها

***قال بن عباس :شهادة الزور من أكبر الكبائر و كتمانها كذلك

–لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها،

(وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ)

***فـــــــاجر

–فكتمها من أعظم الذنوب،

لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق و يخبر بضده و هو الكذب،

و يترتب على ذلك فوات حق من له الحق،

***كقوله﴿ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾المائدة: ١٠٦

و لهذا قال تعالى: (وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ)

و قد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها

على حِكَمٍ عظيمة و مصالح عميمة دلت على:-

❍ أن الخلق لو اهتدوا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم،

لاشتمالها على العدل و المصلحة، و حفظ الحقوق

و قطع المشاجرات و المنازعات،و انتظام أمر المعاش،

فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصي ثناء عليه.

لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ

يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ

(لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)

هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات و ما في الأرض،

الجميع خلقهم و رزقهم و دبرهم لمصالحهم الدينية و الدنيوية،

فكانوا ملكا له و عبيدا،

لا يملكون لأنفسهم ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا،

و هو ربهم و مالكهم الذي يتصرف فيهم بحكمته و عدله وإحسانه،

(وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ)

و قد أمرهم و نهاهم و سيحاسبهم على ما أسروه و أعلنوه،

***كقوله﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ آل عمران: ٢٩

***كقوله﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾طه: ٧

*** صحيح مسلم

125 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

[البقرة: 284]،

قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ،

فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَ الْجِهَادَ وَ الصَّدَقَةَ،

وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟

بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "،

قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ،

فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: 285]،

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: 286]

" قَالَ: نَعَمْ "

{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: 286] "

قَالَ: نَعَمْ " {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: 286] "

قَالَ: نَعَمْ {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 286] " قَالَ: نَعَمْ "

*** صحيح مسلم

126 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ} [البقرة: 284]،

قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا "

قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

{لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: 286] "

قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ "

{رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: 286] "
قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ " {وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا} [البقرة: 286] "
قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ

*** صحيح البخاري

4546 عَنْ مَرْوَانَ الأَصْفَرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
قَالَ: أَحْسِبُهُ ابْنَ عُمَرَ: {إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ} [البقرة: 284]
قَالَ: «نَسَخَتْهَا الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا»( )

***صحيح البخاري

2528 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ»( )

(الآية التي بعدها) وهو قوله تعالى {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. .}

(وسعها) ما يدخل في طاقتها وقدرتها ولا يشق عليها مشقة غير معتادة.

(لها ما كسبت) أجر وثواب ما عملته من الخير.

(وعليها ما اكتسبت) تحاسب وتؤاخذ بما فعلته من معصية وشر.

(لا تحمل علينا) لا تكلفنا.

(الذين قبلنا) كاليهود الذين عجزوا عن القيام بما كلفوا لتعنتهم فاستحقوا شديد العقاب.

(مولانا) ناصرنا وحافظنا و متولي أمورنا]

(تجاوز) عفا ولم يؤاخذ.

(ما وسوست به صدورها) ما يخطر بالبال من شر]

*****صحيح البخاري**

7501 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
" يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً،
فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا،
وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً،
وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا
فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً،
فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ "( )

***** صحيح مسلم**

129 عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "
قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً،
فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،
وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا،
فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا " وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً،
وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا،
وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ "

(أراد) قصد وعزم.
(من أجلي) امتثالا لحكمي وخوفا مني ورغبة في ثوابي.
(فلم يعملها) أي الحسنة]

وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ،
وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ»
*** صحيح مسلم

132 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺفَسَأَلُوهُ:
إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ،
قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»،( )
***صحيح مسلم

133 عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺعَنِ الْوَسْوَسَةِ، قَالَ:
«تِلْكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»

(فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ)

و هو لمن أتى بأسباب المغفرة، و يعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره

(وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ)

لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره و مشيئته و تقديره و جزائه.

(إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم) أي يجد أحدنا التكلم به عظيما لاستحالته في حقه سبحانه وتعالى (ذاك صريح الإيمان) معناه سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان]

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ

(ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ)

***صحيح البخاري

5009 - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»،

***صحيح مسلم

806عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:
بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺسَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِه، فَرَفَعَ رَأْسَهُ،
فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ،
فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ:
هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ،
وَ قَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ:
فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَ خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ ( )

يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، و انقيادهم و طاعتهم و سؤالهم مع ذلك المغفرة،

(كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ)

(نقيضا) أي صوتا كصوت الباب إذا فتح]

فأخبر أنهم آمنوا بالله و ملائكته و كتبه و رسله،

و هذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه،

و أخبرت به عنه رسله من صفات كماله

و نعوت جلاله على وجه الإجمال و التفصيل،

و تنزيهه عن التمثيل و التعطيل و عن جميع صفات النقص،

و يتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة و تفصيلا

و على الإيمان بجميع الرسل والكتب،

أي:بكل ما أخبرت به الرسل و تضمنته الكتب من :-

[الأخبـــــار و الأوامـــــر و النــــواهي]

و أنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم،

لأنهم وسائط بين الله و بين عباده، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله

(وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا)

ما أمرتنا به و نهيتنا

(وَأَطَعْنَا ۖ)

لك في ذلك، و لم يكونوا ممن قالوا سمعنا و عصينا،

❍و لما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق الله تعالى

و هو محتاج إلى مغفرته على الدوام،

قالوا (غُفْرَانَكَ)

أي: نسألك مغفرة لما صدر منا من التقصير و الذنوب،
و محو ما اتصفنا به من العيوب

(وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ)

أي: المرجع لجميع الخلائق فتجزيهم بما عملوا من خير و شر.

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ

لما نزل قوله تعالى

(وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)

شق ذلك على المسلمين لما توهموا أن ما يقع في القلب من الأمور اللازمة و العارضة المستقرة و غيرها مؤاخذون به،

فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها

أي: أمرا تسعه طاقتها، و لا يكلفها و يشق عليها، كما قال تعالى

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨

–فأصل الأوامر و النواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس،

بـــــل هـــــي:–

1- غذاء للأرواح

2-و دواء للأبدان،

3-و حمية عن الضرر،

-فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة و إحسانا،

-و مع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنة المشقة :-

حصل التخفيف و التسهيل:-

1-إما بإسقاطه عن المكلف،

2-أو إسقاط بعضه كما في التخفيف عن المريض و المسافر و غيرهم،

(لَهَا مَا كَسَبَتْ)

ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير،

(وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)

من الشر،

فلا تزر وازرة وزر أخرى و لا تذهب حسنات العبد لغيره،

و في الإتيان بـ « كسب » في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب

و أتى بـ « اكتسب » في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله و يحصل سعيه،

❍و لما أخبر تعالى عن إيمان الرسول و المؤمنين معه

و أن كل عامل سيجازى بعمله،

و كان الإنسان عرضة للتقصير و الخطأ و النسيان،

❍و أخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق و تسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بذلك،

و قد أخبر النبي ﷺأن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا الدعاء،

فقال ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

و الفرق بينهما:

❍أن النسيان:–

ذهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسيانا،

❍و الخطأ:–

أن يقصد شيئا يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله –

فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة ما يقع بهما رحمة بهم و إحسانا،

–فعلى هذا من صلى في ثوب مغصوب، أو نجس،

أو قد نسي نجاسة على بدنه،

أو تكلم في الصلاة ناسيا،

أو فعل مفطـــــــرا ناسيا،

أو فعل محظورا من محظورات الإحرام التي ليس فيها إتلاف ناسيا،

[فإنه مـــــــعفو عنه]،

و كذلك لا يحنث من فعل المحلوف عليه ناسيا،

و كذلك لو أخطأ فأتلف نفسا أو مالا فليس عليه إثم،

و إنما الضمان مرتب على مجرد الإتلاف،

و كذلك المواضع التي تجب فيها التسمية إذا تركها الإنسان ناسيا لم يضر.

(رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا)

أي: تكاليف مشقة

(كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ)

و قد فعل تعالى فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من:-

الطهارات و أحوال العبادات ما لم يخففه على غيرها

(رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ)

و قد فعل و له الحمد

(وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ)

فالعفو و المغفرة يحصل بهما دفع المكاره و الشرور،

و الرحمة يحصل بها صلاح الأمور

(أَنتَ مَوۡلَىٰنَا)

أي: ربنا و مليكنا و إلهنا الذي لم تزل ولايتك إيانا

منذ أوجدتنا و أنشأتنا فنعمك دارة علينا متصلة عدد الأوقات،

ثم أنعمت علينا بالنعمة العظيمة و المنحة الجسيمة،

و هي نعمة الإسلام التي جميع النعم تبع لها،

(فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

فنسألك يا ربنا و مولانا تمام نعمتك بأن تنصرنا على القوم الكافرين،

الذين كفروا بك و برسلك، و قاوموا أهل دينك و نبذوا أمرك،

فانصرنا عليهم بالحجة و البيان و السيف و السنان، بأن:-

1-تمـــــكن لنا في الأرض

2-و تخـــــذلهم

3-و تـــــرزقنا الإيمان و الأعمال التي يحصل بها النصر،

و الحمد لله رب العالمين.

تم تفسير سورة البقرة بعون الله و توفيقه و صلى الله على محمد وسلم.

تفسير سورة آل عمران وهي مدنية

نزل صدرها إلى بضع و ثمانين آية في مخاصمة النصارى
و إبطال مذهبهم و دعوتهم إلى الدخول في الدين الحق دين الإسلام
كما نزل صدر البقرة في محاجة اليهود كما تقدم.

الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ
ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ
وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ
عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن
لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾

(الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته،و أنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله و التعبد إلا لوجهه،

فكل معبود سواه فهو باطل،

و الله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة و القيومية،

(ٱلۡحَيُّ)

فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم و لا تكمل الحياة إلا بها كالسمع و البصر و القدرة و القوة و العظمة و البقاء و الدوام و العز الذي لا يرام

(ٱلۡقَيُّومُ) الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته،

و قام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد و الإعداد و الإمداد،

–فهو الذي قام بتدبير الخلائق و تصريفهم،

تدبير :–[للأجسام و للقلوب و الأرواح]

(نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ)

و من قيامه تعالى بعباده و رحمته بهم أن نزل على رسوله محمد ﷺالكتاب،

الذي هو أَجَلُ الكتب و أعظمها المشتمل على الحق في :–

[إخـــــباره و أوامـــــره و نـــــواهيه،]

فما أخبر به صدق، و ما حكم به فهو العدل،

و أنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم و يتعلموا كتابه

(مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)

من الكتب السابقة،

فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، و ما رده فهو المردود،

و هو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون،

و هي شاهدة له بالصدق،

فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به،

فإن كُفْرُهم به ينقض إيمانهم بكتبهم،

ثم قال تعالى (وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ) أي: على موسى

(وَٱلْإِنجِيلَ)

على عيسى.

(مِن قَبۡلُ)

إنزال القرآن

(هُدٗى لِّلنَّاسِ)

الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم،

أي: أنزل الله القرآن و التوراة و الإنجيل هدى للناس من الضلال،

فمن قبل هدى الله فهو المهتدي،

ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله

(وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ)

أي: الحجج و البينات و البراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد و المطالب،

–و كذلك فصل و فسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جلية ظاهرة،

–فلم يبق لأحد عذر و لا حجة لمن لم يؤمن به و بآياته،

فلهذا قال (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

أي: بعد ما بينها و وضحها و أزاح العلل

(لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ)

لا يقدر قدره و لا يدرك وصفه

(وَٱللَّهُ عَزِيزٌ)

أي: قوي لا يعجزه شيء

(ذُو ٱنتِقَامٍ)

ممن عصاه.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ)

و هذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات كلها،جليها و خفيها،ظاهرها و باطنها

–و من جملة ذلك الأجنة في البطون التي لا يدركها بصر المخلوقين،

و لا ينالها علمهم، و هو تعالى يدبرها بألطف تدبير، و يقدرها بكل تقدير،

فلهذا قال (هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ) .

من كامل الخلق و ناقصه، و حسن و قبيح، و ذكر و أنثى

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

–تضمنت هذه الآيـــــات:–

1–تقرير إلـــــهية الله و تعينها،

2–و إبـــــطال إلهية ما سواه،

3–و في ضمن ذلك رد على النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام

4–و تضمنت إثـــــبات حيـــــاته الكاملة و قيــــــوميته التامة،

[المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم،]

5–و إثبات الشرائع الكبار، و أنها رحمة و هداية للناس،

6–و تقسيم الناس إلى مهتـــــد و غيره، و عقوبة من لم يهتد بها،

7–و تقرير سعة علم الباري و نفوذ مشيئته و حكمته.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ)

القرآن العظيم كله محكم كما قال تعالى

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١

فهو مشتمل على غاية الإتقان و الإحكام و العدل و الإحسان

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمًا لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠

–و كله متشابه في الحسن و البلاغة

و تصــــــديق بعضه لبعضه

و مطـــــــابقته لفظا و معنى،

و أما الإحكام و التشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله

(مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ)

أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة و لا إشكال

(هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ)

أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه،و هي معظمه و أكثره،

(و) منه آيات

(وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ)

1-أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان:- لكون دلالتها مجملة،

2-أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها،

❍فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد،

و هي الأكثر التي يرجع إليها،

❍و منه آيات تشكل على بعض الناس،

فالواجب في هذا أن يُرد المتشابه إلى المحكم و الخفي إلى الجلي،

فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا و لا يحصل فيه مناقضة و لا معارضة،

و لكن الناس انقسموا إلى فـــــــرقتين :-

1-(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ) أ

أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم،

و صار قصدهم الغي و الضلال و انحرفت قلوبهم عن طريق الهدى و الرشاد

(فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ)

***✿إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ بِالْمُتَشَابِهِ الَّذِي يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُحَرِّفُوهُ إِلَى مَقَاصِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ،

وَيُنْزِلُوهُ عَلَيْهَا، لِاحْتِمَالِ لَفْظِهِ لِمَا يَصْرِفُونَهُ

✿ فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ دَامِغٌ لَهُمْ وَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ،

وَ لِهَذَا قَالَ: {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} أَيِ:

الْإِضْلَالِ لِأَتْبَاعِهِمْ، إِيهَامًا لَهُمْ أَنَّهُمْ يَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِالْقُرْآنِ،

وَ هَذَا حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ، كَمَا لَوِ احْتَجَّ النَّصَارَى بِأَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَطَقَ بِأَنَّ عِيسَى هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ،

وَ تَرَكُوا الِاحْتِجَاجَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى {إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ} [الزُّخْرُفِ: 59] وَ بِقَوْلِهِ: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آلِ عِمْرَانَ: 59]

وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ الْمُصَرِّحَةِ بِأَنَّهُ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَ عَبْدٌ، وَ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

–أي: يتركون المحكم الواضح

و يذهبون إلى المتشابه،

و يعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه

(وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ)

***صحيح البخاري

4547 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺهَذِهِ الآيَةَ:

{هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ* مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ*وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»( )

–لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه،

و إلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة،

لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه،

و قوله (وابتغاء تأويلهۦ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ)

(محكمات) مبينات مفصلات أحكمت عبارتها ووضحت وحفظت من احتمال التأويل والاشتباه.

(أم الكتاب) أصل الكتاب والعمدة منه.

(متشابهات) محتملات في معانيهن للتأويل.

(ابتغاء) طلب.

(الفتنة) أي يفتنوا الناس عن دينهم ويوقعوهم في الشك.

(تأويله) تفسيره حسبما يشتهون.

(سمى الله) أي ذكرهم في كتابه بأنهم في قلوبهم زيغ

○للمفسرين في الوقوف على (الله) من قوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾

قـــــولان، :-

جمهورهم يقفون عندها، و بعضهم يعطف عليها ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾

و ذلك كله محتمل،

1-فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء(((***و ما يؤول اليه)))و كنهه

***كقوله ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ يوسف: ١٠٠

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ الأعراف: ٥٣

***أي حَقِيقَةُ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنَ أَمْرِ الْمَعَادِ، فإن أريد بِالتَّأْوِيلِ هَذَا،
فَالْوَقْفُ عَلَى الْجَلَالَةِ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ و كُنْهَهَا لَا يَعْلَمُهُ عَلَى الْجَلِيَّةِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،

وَ يَكُونُ قَوْلُهُ: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} مُبْتَدَأً

وَ {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} خَبَرَهُ.

كان الصواب الوقوف على (إلا الله) لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه

وحقيقته، نحو حقائق صفات الله و كيفيتها،و حقائق أوصاف ما يكون في

اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله،

و لا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته،

كما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله

[الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] فقال السائل: كيف استوى؟

فقـــــال مالـــــك:-

الاستواء معلــــــوم،

و الكيف مجــــــهول،

و الإيمان به واجـــــب،

و السؤال عنه بــــدعة،

فهكذا يقال في سائر الصفات لمن سأل عن كيفيتها أن يقال كما قال الإمام مالك،

تلك الصفة معلومة،وكيفيتها مجهولة،والإيمان بها واجب،والسؤال عنها بدعة،

-وقد أخبرنا الله بها و لم يخبرنا بكيفيتها، فيجب علينا الوقوف على ما حد لنا،

❍فأهل الزيغ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضا لما لا يعني،

و تكلفا لما لا سبيل لهم إلى علمه، لأنه لا يعلمها إلا الله،

-و أما الراسخون في العلم فيؤمنون بها و يكلون المعنى إلى الله فيسلمون و يسلمون،

2-و إن أريد بالتأويل التفسير و الكشف و الإيضاح،

(((*و البيان و التعبير عن الشئ)))**

كقوله﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾يوسف: ٣٦ أي بتفسيره

كان الصواب عطف (الراسخون) على (الله) فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه

و رده إلى المحكم و إزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى

و الراسخون في العلم يعلمون أيضا، فيؤمنون بها و يردونها للمحكم

و يقولون ﴿كُلٌّ﴾

من المحكم و المتشابه

﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾

و ما كان من عنده فليس فيه تعارض و لا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه

بعضا و يشهد بعضه لبعض

☼و فيه تنبيه على الأصل الكبير:-

و هو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله،

و أشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يقينا أنه مردود إلى المحكم،

و إن لم يفهموا وجه ذلك.

-و لمَّا رغب تعالى في التسليم و الإيمان بأحكامه و زجر عن اتباع المتشابه

قال ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ﴾

أي: يتعظ بمواعظ الله و يقبل نصحه و تعليمه إلا

﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

أي: أهل العقول الرزينة لب العالم و خلاصة بني آدم

يصل التذكير إلى عقولهم،

فيتذكرون ما ينفعهم فيفعلونه،

و ما يضرهم فيتركونه،

-و أما من عداهم فهم القشور الذي لا حاصل له و لا نتيجة تحته،

لا ينفعهم الزجر و التذكير لخلوهم من العقول النافعة.

*** مسند أحمد ط الرسالة

6741-عن عمرو بن شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ،

قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺقَوْمًا يَتَدَارَءُونَ ( ) ،

فَقَالَ: " إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ،

وَ إِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا،

فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا،

وَ مَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ "

-ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون و يقولون

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)

أي: لا تملها عن الحق جهلا و عنادا منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين،

فثبتنا على هدايتك و عافنا مما ابتليت به الزائغين

(وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ)

أي: عظيمة توفقنا بها للخيرات و تعصمنا بها من المنكرات

(إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)

يختلفون ومنه قوله تعالى: (فادارأتم فيها) [البقرة: 72] ، أي: تدارأتم وتدافعتم واختلفتم. قاله البغوي. والمراد: يتدافعون في القرآن.

أي: واسع العطايا و الهبات، كثير الإحسان الذي عم جودك جميع البريات.

(رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ)

–فمجازيهم بأعمالهم حسنها و سيئها،

و قد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: –

إحداها: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه و شرائعه،

الثانية: الرسوخ في العلم و هذا قدر زائد على مجرد العلم،

فإن الراسخ في العلم يقتضي أن يكون عالما محققا، و عارفا مدققا،

قد علمه الله ظاهر العلم و باطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة :–

[علمـــــا و حــــالا و عمــــلا]

الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان بجميع كتابه و رد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله

(يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

الرابعة: أنهم سألوا الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون،

الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية

و ذلك قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)

السادسة: أنهم مع هذا سألوه رحمته المتضمنة حصول كل خير

و اندفاع كل شر، و توسلوا إليه باسمه الوهاب،

السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم و إيقانهم بيوم القيامة و خوفهم منه،

و هذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ
وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ
مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ
ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ
وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ
حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ
وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ

جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ
مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا)

يخبر تعالى أن الكفار به و برسله، الجاحدين بدينه و كتابه،

قد استحقوا العقاب و شدة العذاب بكفرهم و ذنوبهم و أنه لا يغني(تدفع)

عنهم مالهم و لا أولادهم شيئا،

و إن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك النكبات التي ترد عليهم،

﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ سبأ: ٣٥

فيوم القيامة

﴿وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الزمر: ٤٨

يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

و ليس للأولاد و الأموال قدر عند الله،

إنما ينفع العبد إيمانه بالله و أعماله الصالحة، كما قال تعالى

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ سبأ: ٣٧

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ)

و أخبر هنا أن الكفار هم وقود النار، أي: حطبها، الملازمون لها دائما أبدا، و هذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغني الأموال و الأولاد عن الكفار شيئا، سنته الجارية في الأمم السابقة.

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾
الأنبياء: ٩٨

(كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)

***كصنيع و الحال و الشأن و الأمر و العادة

–كما جرى لفرعون و من قبله ومن بعدهم من الفراعنة العتاة الطغاة أرباب الأموال و الجنود لما كذبوا بآيات الله و جحدوا ما جاءت به الرسل و عاندوا، أخذهم الله بذنوبهم عدلا منه لا ظلما

(وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)

–على من أتى بأسباب العقاب و هو [الكفر و الذنوب]على اختلاف أنواعها و تعدد مراتبها.

ثم قال تعالى (قُل) يا محمد

(لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ)

و في هذا إشارة للمؤمنين بالنصر و الغلبة و تحذير للكفار، و قد وقع كما أخبر تعالى،

فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين و اليهود و النصارى،
و سيفعل هذا تعالى بعباده و جنده المؤمنين إلى يوم القيامة،
–ففي هذا عبرة و آية من آيات القرآن المشاهدة بالحس و العيان،
و أخبر تعالى أن الكفار مع أنهم مغلوبون في الدار أنهم محشورون
و مجموعون يوم القيامة لدار البوار،

(وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)

***الميسر: لتكون فراشًا دائمًا لكم، و بئس الفراش.**

و هذا هو الذي مهدوه لأنفسهم فبئس المهاد مهادهم،و بئس الجزاء جزاؤهم.

(قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ)

أي: عبرة عظيمة

*** قَدْ كَانَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْيَهُودُ الْقَائِلُونَ مَا قُلْتُمْ –

{ءَايَةٌ } أَيْ: دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُعِزٌّ دِينَهُ، وَ نَاصِرٌ رَسُولَهُ، وَ مُظْهِرٌ كَلِمَتَهُ، وَ مُعْلٍ أَمْرَهُ

(فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا)

((للقتال))و هذا يوم بدر

(فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)

و هم الرسول ﷺو أصحابه

(وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ)

أي: كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطرا و فخرا و رئاء الناس، و يصدون عن سبيل الله،

فجمع الله بين الطائفتين في بدر،و كان المشركون أضعاف المؤمنين،

فلهذا قال (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ)

أي: يرى المؤمنون الكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة، تبلغ المضاعفة و تزيد عليها، و أكد هذا بقوله (رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ)

*** جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيمَا رَأَوْهُ سَبَبًا لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ.

وَهَذَا لَا إِشْكَالَ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ،

الاول :-

وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ بَعَثُوا عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ الْقِتَالِ يَحْزِرُ لَهُمُ الْمُسْلِمِينَ، فَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا.

وَ هَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ، كَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا

ثُمَّ لَمَّا وَقَعَ الْقِتَالُ أَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِأَلْفٍ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلَائِكَةِ وَ سَادَاتِهِمْ.

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي: " أَنَّ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}

أَيْ: تَرَى الْفِئَةُ الْمُسْلِمَةُ الْفِئَةَ الْكَافِرَةَ مِثْلَيْهِمْ،

أَيْ: ضِعْفَيْهِمْ فِي الْعَدَدِ، وَ مَعَ هَذَا نَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

*** لَكِنْ بَقِيَ سُؤَالٌ آخَرُ وَ هُوَ وَارِدٌ عَلَى الْقَوْلَيْنِ،

وَ هُوَ أَنْ يُقَالَ: مَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ بَدْرٍ:

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا} ؟ [الْأَنْفَالِ: 44]

وَ الْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا كَانَ فِي حَالٍ، وَ الْآخَرُ كَانَ فِي حَالٍ أُخْرَى،

كَمَا قَالَ السُّدِّي، عَنِ مرة الطَّيِّبِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ:

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ } الْآيَةَ،

قَالَ: هَذَا يَوْمُ بَدْرٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ:

وَ قَدْ نَظَرْنَا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَرَأَيْنَاهُمْ يُضْعَفون عَلَيْنَا،

ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْهِمْ فَمَا رَأَيْنَاهُمْ يَزِيدُونَ عَلَيْنَا رَجُلًا وَاحِدًا، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} .

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَانِبِي تَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟

قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً. قَالَ: فَأَسَرْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْنَا: كَمْ كُنْتُمْ؟

قَالَ: أَلْفًا. فَعِنْدَمَا عَايَنَ كُلُّ الْفَرِيقَيْنِ الْآخَرَ رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْهِمْ، أَيْ: أَكْثَرُ مِنْهُمْ بِالضِّعْفِ،

لِيَتَوَكَّلُوا وَ يَتَوَجَّهُوا وَ يَطْلُبُوا الْإِعَانَةَ مِنْ رَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ.

-وَ رَأَى الْمُشْرِكُونَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ لِيَحْصُلَ لَهُمُ الرُّعْبُ وَ الْخَوْفُ وَ الْجَزَعُ وَ الْهَلَعُ، ثُمَّ لَمَّا حَصَلَ التَّصَافُّ وَ الْتَقَى الْفَرِيقَانِ :

قَلَّلَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ فِي أَعْيُنِ هَؤُلَاءِ، وَ هَؤُلَاءِ فِي أَعْيُنِ هَؤُلَاءِ،

لِيُقْدِمَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ.

(وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ)

فنصر الله المؤمنين

و أيدهم بنصره فهزموهم،

و قتلوا صناديدهم،

و أسروا كثيرا منهم،

و ما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره،

و خاذل من كفر به،

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً)

*** الميسر: لَعِظة عظيمة**

–ففي هذا عبرة

(لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ)

أي: أصحاب البصائر النافذة و العقول الكاملة، على أن الطائفة المنصورة معها الحق، و الأخرى مبطلة،

و إلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة و العدد و العُدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات،

و لكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر و الإيمان بالله و التوكل على الله و الثقة بكفايته،

و هو نصره و إعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ

ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥

يخبر تعالى أنه (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ) الدنيوية

***أيسر التفاسير:جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعاً وغريزة؛ كالطعام و الشراب اللذيذين.**

(مِنَ ٱلنِّسَآءِ)

*** فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِهِنَّ أَشَدُّ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ

***صحيح البخاري

5096 - عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»( )

*** فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِهِنَّ الْإِعْفَافَ وَ كَثْرَةَ الْأَوْلَادِ،

فَهَذَا مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ،

كَمَا وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِالتَّرْغِيبِ فِي التَّزْوِيجِ وَ الِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ

و إِنَّ خَيْرَ هَذه الأمَّةِ كَانَ أَكْثَرهَا نسَاءً"

***صحيح مسلم

1467عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:

«الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَ خَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»

***سنن أبي داود

(فتنة) سببا للفتنة وذلك بتكليف الرجال من النفقة ما لا يطيق أحيانا وبإغرائهن وإمالتهن عن الحق إذا خرجن واختلطن بالرجال لا سيما إذ كن سافرات متبرجات.

(أضر) أكثر ضررا و أشد فسادا لدينهم و دنياهم]

1664 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:
{وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} [التوبة: 34]،
قَالَ: كَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا أُفَرِّجُ عَنْكُمْ، فَانْطَلَقَ،
فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُ كَبُرَ عَلَى أَصْحَابِكَ هَذِهِ الْآيَةُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ، إِلَّا لِيُطَيِّبَ مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ،
وَ إِنَّمَا فَرَضَ الْمَوَارِيثَ لِتَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ»،
فَكَبَّرَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:
«أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟
الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ،
وَ إِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ،
وَ إِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ

(وَٱلۡبَنِينَ)

***** وَ حُبُّ الْبَنِينَ تَارَةً يَكُونُ لِلتَّفَاخُرِ وَ الزِّينَةِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي هَذَا،**
وَ تَارَةً يَكُونُ لِتَكْثِيرِ النَّسْلِ،
وَ تَكْثِيرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
فَهَذَا مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ:
***** سنن أبي داود**

2050 - عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَ جَمَالٍ، وَ إِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا،
قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ،

فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»( )

*** وَ حُبُّ الْمَالِ - كَذَلِكَ-تَارَةً يَكُونُ لِلْفَخْرِ وَ الْخُيَلَاءِ وَ التَّكَبُّرِ عَلَى الضُّعَفَاءِ، وَ التَّجَبُّرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ،فَهَذَا مَذْمُومٌ،

وَ تَارَةً يَكُونُ لِلنَّفَقَةِ فِي الْقُرُبَاتِ وَ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَ الْقَرَابَاتِ وَ وُجُوهِ الْبِرِّ و الطَّاعَاتِ، فَهَذَا مَمْدُوحٌ مَحْمُودٌ عَلَيْهِ شَرْعًا.

(وَٱلۡقَنَٰطِيرِ)

*أيسر التفاسير:القنطار: ألف و مائة أوقية فضة،

(ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ)

الكثيرة بعضها فوق بعض.

(وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ)

*أيسر التفاسير:ذات السمات الحسان و المعدة للركوب عليها للغزو و الجهاد.

***الراعية و المطهمة الحسان أو الغرة و التحجيل

*** وَ حُبُّ الْخَيْلِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:-

1-تَارَةً يَكُونُ ربطَها أصحابُها معدَّةً لِسَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، مَتَى احْتَاجُوا إِلَيْهَا غزَوا عَلَيْهَا، فَهَؤُلَاءِ يُثَابُونَ.

2-وَ تَارَةً تُرْبَطُ فَخْرًا وَ نِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا وزْر.

(وَأَنَّهَا لَا تَلِدُ) كَأَنَّهُ عَلِمَ بِذَلِكَ بِأَنَّهَا لَا تَحِيضُ

(تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ) أَيِ الَّتِي تُحِبُّ زَوْجَهَا

(الْوَلُودَ) أَيِ الَّتِي تَكْثُرُ وِلَادَتُهَا

وَقَيَّدَ بِهَذَيْنِ لِأَنَّ الْوَلُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَدُودًا لَمْ يَرْغَبِ الزَّوْجُ فِيهَا وَالْوَدُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَلُودًا لَمْ يَحْصُلِ الْمَطْلُوبُ وَهُوَ تَكْثِيرُ الْأُمَّةِ بِكَثْرَةِ التَّوَالُدِ وَيُعْرَفُ هَذَانِ

3-وَ تَارَةً لِلتَّعَفُّفِ وَ اقْتِنَاءِ نَسْلِهَا.
وَ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا، فَهَذِهِ لِصَاحِبِهَا سِتْر، عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾الأنفال: ٦٠

(وَٱلْأَنْعَٰمِ ۗ)

*أيسر التفاسير :الإبل و البقر و الغنم

(وَٱلْحَرْثِ)

*أيسر التفاسير :الزروع و الحقول و سائر النباتات النافعة.
مصدر أطلق على المحروثات نفسها من المزارع و الحدائق.
–و خص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا و غيرها تبع لها،
قال تعالي

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾الكهف: ٧
فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات،
تعلقت بها نفوسهم و مالت إليها قلوبهم،
و انقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:–
1–القسم الاول:

جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم و خواطرهم و أعمالهم الظاهرة و الباطنة لها،

فشغلتهم عما خلقوا لأجله، و صحبوها صحبة البهائم السائمة،

يتمتعون بلذاتها و يتناولون شهواتها، و لا يبالون على أي وجه حصلوها،

و لا فيما أنفقوها و صرفوها،

فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء و العناء و العذاب،

2–و القسم الثاني: عرفوا المقصود منهـــــا

و أن الله جعلها ابتـــــلاء و امتحانـــــا لعباده،

ليعلم من يقدم طاعته و مرضاته على لذاته و شهواته،

فجعلوها وسيلة لهم و طريقا يتزودون منها لآخرتهم

و يتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته،

قد صحبوها بأبدانهم و فارقوها بقلوبهم، و علموا أنها كما قال الله فيها

(ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ)

فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة و متجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة،

فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم.

❍و في هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء،

❍و تحذير للمغترين بها و تزهيد لأهل العقول النيرة بها،

(وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ)

***الميسر:و الله عنده حسن المرجع و الثواب، و هو الجنّة.**

(۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ)

***** قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: أَأُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا زُيِّنَ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ زَهْرَتِهَا وَ نَعِيمِهَا، الَّذِي هُوَ زَائِلٌ لَا مَحَالَةَ.**

–و تمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار و مصير المتقين الأبرار،

و أخبر أنها خير من ذلكم المذكور،

(جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ)

***** تَنْخَرِقُ بَيْنَ جَوَانِبِهَا وَ أَرْجَائِهَا الْأَنْهَارُ، مِنْ أَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ؛ مِنَ :- الْعَسَلِ وَ اللَّبَنِ وَ الْخَمْرِ وَ الْمَاءِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ،**

مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

{خَـٰلِدِينَ فِيهَا }

أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدَ الْآبَادِ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

ألا و هي [الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة]

و الغرف العالية،

و الأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار،

و الأنهار الجارية على حسب مرادهم

(وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ)

من كل قذر و دنس و عيب ظاهر و باطن،

***و الخَبَث، وَ الْأَذَى، وَ الْحَيْض، وَ النِّفَاسِ،
وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَرِي نِسَاءَ الدُّنْيَا.

(وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ)

–مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم،

فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة،

ثم اختر لنفسك أحسنهما و اعرض على قلبك المفاضلة بينهما

***{وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التَّوْبَة: 72]
أَيْ: أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاهُمْ من النعيم المقيم،
*** صحيح البخاري
6549 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
" إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟
فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ،
فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟
فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ:
أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ،
قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟
فَيَقُولُ: أُحِلُّ( ) عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا "

(وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ)

(أحل) أنزل و أوجب

أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة و الأوصاف القبيحة،
و ما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم و يخذل من شاء.
فالجنة التي ذكر الله وصفها و نعتها بأكمل نعت وصف أيضا المستحقين لها
و هم الذين اتقوه بفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه،
و كان من دعائهم أن قالوا:

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦
ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ
١٧ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل
لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ
فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ
ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦
ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ
وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧

(ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)

توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم و يقيهم شر آثارها و هو عذاب النار، ثم فصل أوصاف التقوى.

فقال (ٱلصَّٰبِرِينَ)

أنفســـــــهم على :–

1–ما يحبـــــــه الله من طاعته،

2–و عن معصـــــــيته،

3–و على أقـــــــداره المؤلمة،

(وَٱلصَّٰدِقِينَ)

في إيمانهم و أقوالهم و أحوالهم

***فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِمَا يَلْتَزِمُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ

{وَٱلْقَٰنِتِينَ }

***وَ الْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ وَ الْخُضُوعُ

(وَٱلْمُنفِقِينَ)

مما رزقهم الله بأنواع النفقات على المحاويج من الأقارب و غيرهم

*** مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي جَمِيعِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ،

و صـــلة الأرحام

و القــــــــرابات،

وَ سَـــدِّ الخَلات،

وَ مُوَاسَاةِ ذَوِي الْحَاجَاتِ

(وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ)

*** صحيح البخاري

1145- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
" يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي،
فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ "( )

–لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم و أنهم لا يرون لأنفسهم، حالا و لا مقاما،

✡بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم،

✡و يتوقعون أوقات الإجابة وهي السحر،

قال الحسن:–مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم.

❍فتضمنت هذه الآيات حالة الناس في الدنيا و أنها متاع ينقضي،

ثم وصف الجنة و ما فيها من النعيم و فاضل بينهما،

و فضل الآخرة على الدنيا تنبيها على أنه يجب إيثارها و العمل لها،

و وصف أهل الجنة و هم المتقون، ثم فصل خصال التقوى،

فبهذه الخصال يزن العبد نفسه، هل هو من أهل الجنة أم لا؟

(ينزل ربنا) نزولا يليق بجلالة

(السماء الدنيا) الأولى و سميت الدنيا لقربها من أهل الأرض]

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾

(شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له،

و هي شهادته تعالى و شهادة خواص الخلق [و هم الملائكة و أهل العلم]

أما شهادته تعـــــالى :-

فيما أقامه من الحجج و البراهين القاطعة على توحيده،

و أنه لا إله إلا هو،

-فنوع الأدلة في الآفاق و الأنفس على هذا الأصل العظيم،

و لو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا و نصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد،

-و كذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه،

-و لا يدفع النقم إلا هو،

-و الخلق كلهم عاجزون عن المنافع و المضار لأنفسهم و لغيرهم،

-ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد و بطلان الشرك،

(وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)

-و أما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك و إخبار رسله،

(وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ)

و أما شهادة أهل العلم:-

-فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور و أجلها و أشرفها و هو التوحيد،

-فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك و دعوا إليه و بينوا للناس الطرق الموصلة إليه،

-فوجب على الخلق التزام هذا الأمر المشهود عليه و العمل به،

-و في هذا دليل على أن أشرف الأمور [علم التوحيد] لأن الله شهد به بنفسه و أشهد عليه خواص خلقه،

و الشهادة لا تكون إلا عن علم و يقين، [بمنزلة المشاهدة للبصر]

-ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم.

و في هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة:-

1-منها:أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس،

2–و منها:أن الله قرن شهادتهم بشهادته و شهادة ملائكته،

و كفى بذلك فضلا

3–و منها:أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم،

إذ هم القائمون به المتصفون بصفته،

4–و منها: أنه تعالى جعلهم شهداء و حجة على الناس،

و ألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك،

فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره،

و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،

5–و منها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم و تعديلهم

و أنهم أمناء على ما استرعاهم عليه،

و لما قرر توحيده قرر عدله،

فقال: (قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ)

*** الميسر:بالعدل**

أي: لم يزل متصفا بالقسط في أفعاله و تدبيره بين عباده،

فهو على صراط مستقيم في ما أمر به و نهى عنه، و فيما خلقه و قدره،

ثم أعاد تقرير توحيده فقال (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

و اعلم أن هذا الأصل الذي هو توحيد الله و إفراده بالعبودية قد دلت عليه

الأدلة النقلية و الأدلة العقلية، حتى صار لذوي البصائر أجلى من الشمس،

❍فأما الأدلة النقلية :-

فكل ما في كتاب الله وسنة رسوله، من الأمر به و تقريره،

و محبة أهله و بغض من لم يقم به و عقوباتهم، و ذم الشرك و أهله،

فهو من الأدلة النقلية على ذلك، حتى كاد القرآن أن يكون كله أدلة عليه،

❍و أما الأدلة العقلية:-

التي تُدرك بمجرد فكر العقل و تصوره للأمور

فقد أرشد القرآن إليها و نبه على كثير منها،

فمـــــن أعظــــــمها:

1-الاعتراف بربوبية الله، فإن من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له،

و لما كان هذا من أوضح الأشياء و أعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه.

2-و من الأدلة العقلية على أن الله هو الذي يؤله دون غيره:-

انفراده بالنعم و دفع النقم،

فإن من عرف أن النعم الظاهرة و الباطنة القليلة و الكثيرة كلها من الله،

و أنه ما من نقمة و لا شدة و لا كربة إلا و هو الذي ينفرد بدفعها

-و إن أحدا من الخلق لا يملك لنفسه - فضلا عن غيره- جلب نعمة و لا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل

-و أن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح و دفع المضار،

فلهذا أكثر الله في كتابه من التنبيه على هذا الدليل جدا،

3–و من الأدلة العقلية أيضا على ذلك:–

ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عُبدت من دونه،

بأنها لا تملك نفعا و لا ضرا، و لا تنصر غيرها و لا تنصر نفسها،

و سلبها الأسماع و الأبصار، و أنها على فرض سماعها لا تغني شيئا،

و غير ذلك من الصفات الدالة على نقصها غاية النقص،

و ما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة و الأفعال الجميلة،

و القدرة و القهر،

و غير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية و العقلية،

–فمن عرف ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق و لا تحسن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، و المجد كله، و الحمد كله، و القدرة كلها،

و الكبرياء كلها، لا بالمخلوقات المدبرات الناقصات الصم البكم

الذين لا يعقلون،

4–و من الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان و حديثه، من الإكرام لأهل التوحيد، و الإهانة و العقوبة لأهل الشرك،

–و ما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلا إلى كل خير دافعا لكل شر ديني و دنيوي،

–و جعل الشرك به و الكفر سببا للعقوبات الدينية و الدنيوية،

–و لهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين و العاصين،

-و أخبر عن عقوبات العاصين و نجاة الرسل و من تبعهم،
قال عقب كل قصة: ((إن في ذلك لآية))
أي: لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة،
و تركه هو الموجب للهلاك،
-فهذه من الأدلة الكبار العقلية النقلية الدالة على هذا الأصل العظيم،
و قد أكثر الله منها في كتابه و صَرَّفها و نَوَّعها ليحيى من حي عن بينة،
و يهلك من هلك عن بينة فله الحمد و الشكر و الثناء.

(إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ)

و لما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة و الدين الذي يتعين أن يعبد به
و يدان له، و هو [الإسلام]:-
-الذي هو الاستسلام لله بتوحيده و طاعته التي دعت إليها رسله،
-و حثت عليها كتبه،
-و هو الذي لا يقبل من أحد دين سواه،
-و هو متضمن للإخلاص له في الحب و الخوف و الرجاء و الإنابة و الدعاء
و متابعة رسوله في ذلك،
-و هذا هو دين الرسل كلهم، و كل من تابعهم فهو على طريقهم،
و إنما اختلف أهل الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على
دين الله، بغيا بينهم، و ظلما و عدوانا من أنفسهم،

و إلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق و يتركوا الاختلاف،

و هذا من كفرهم، فلهذا قال تعالى

وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ

(وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ)

*الميسر:- و ما وقع الخلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فتفرقوا شيعًا و أحزابًا إلا من بعد ما قامت الحجة عليهم [بإرسال الرسل و إنزال الكتب] بغيًا و حسدًا طلبًا للدنيا.

(وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)

–فيجازي كل عامل بعمله،

و خصوصا من ترك الحق بعد معرفته،

فهذا مستحق للوعيد الشديد و العقاب الأليم،

(فَإِنۡ حَآجُّوكَ)

***جادلوك في التوحيد

ثم أمر تعالى رسوله ﷺعند محاجة النصارى و غيرهم ممن يفضل غير دين

الإسلام عليه أن يقول لهم:(فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ)

***علي ديني كقوله﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾يوسف: ١٠٨

أي: أنا و من اتبعني قد أقررنا و شهدنا و أسلمنا وجوهنا لربنا،

و تركنا ما سوى دين الإسلام، و جزمنا ببطلانه،

–ففي هذا تأييس لمن طمع فيكم، و تجديد لدينكم عند ورود الشبهات،

و حجة على من اشتبه عليه الأمر،

–لأنه قد تقدم أن الله استشهد على توحيده بأهل العلم من عباده

ليكونوا حجة على غيرهم، و سيد أهل العلم و أفضلهم و أعلمهم هو نبينا محمد ﷺ،

–ثم من بعده أتباعه على اختلاف مراتبهم و تفاوت درجاتهم،

فلهم من العلم الصحيح و العقل الرجيح ما ليس لأحد من الخلق ما يساويهم أو يقاربهم،

فإذا ثبت و تقرر توحيد الله و دينه بأدلته الظاهرة،

و قام به أكمل الخلق وأعلمهم،

حصل بذلك اليقين و انتفى كل شك و ريب و قادح،

و عرف أن ما سواه من الأديان باطلة،

فلهذا قال (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ)

من النصارى و اليهود

(وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ)

مشركي العرب و غيرهم

(ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ)

أي: بمثل ما آمنتم به

(فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ)

كما اهتديتم و صاروا إخوانكم، لهم ما لكم، و عليهم ما عليكم

(وَّإِن تَوَلَّوۡاْ)

عن الإسلام و رضوا بالأديان التي تخالفه

(فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ)

فقد وجب أجرك على ربك، و قامت عليهم الحجة،

و لم يبق بعد هذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم،

فلهذا قال (وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ) .

***عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَةَ،

وَ هُوَ الَّذِي {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 33]

وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِحِكْمَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ وَأَمْثَالُهَا مَنْ أَصْرَحِ الدَّلَالَاتِ عَلَى عُمُومِ بِعْثَتِهِﷺإِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ دِينِهِ ضَرُورَةً،

وَكَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ وَحَدِيثٍ،

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}
[الْأَعْرَافِ: 158]
وَ قَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِى نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}
[الْفُرْقَانِ: 1]
وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، مِمَّا ثَبَتَ تَوَاتُرُهُ بِالْوَقَائِعِ الْمُتَعَدِّدَةِ،
أَنَّهُ بَعَثَ كُتُبَهُ ﷺيَدْعُو إِلَى اللَّهِ مُلُوكَ الْآفَاقِ، وَ طَوَائِفَ بَنِي آدَمَ مِنْ عَرَبِهِمْ وَ عَجَمِهِمْ، كتابِيِّهم و أمِّيِّهم، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ
***صحيح مسلم
153 أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:
«وَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَ لَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ،
إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»
***صحيح البخاري
335 - عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ
وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس جرما

و أي: جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي

من كفر بها فهو في غاية الكفر و العناد

(وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ)

و يقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله،

الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، و تعزيرهم، و توقيرهم،

و نصرهم و هؤلاء قابلوهم بضد ذلك،

***وَ هَذَا هُوَ غَايَةُ الْكِبْرِ،

***صحيح مسلم 147

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَ غَمْطُ النَّاسِ»

(وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ)

و يقتلون أيضا الذين يأمرون الناس بالقسط الذي هو العدل،

و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الذي حقيقته :-

إحسان إلى المأمور و نصح له، فقابلوهم شر مقابلة،

(فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

فاستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات،

و هو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها،

و لا يقدر قدرها المؤلم [للأبدان و القلوب و الأرواحٍ]

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ)

و بطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم،

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)

و ما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله و لا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل قد أيسوا من كل خير، و حصل لهم كل شر و ضير،

و هذه الحالة صفة اليهود و نحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله و على أنبيائه و عباده الصالحين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ
فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ
وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ
تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ
بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ
وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ
ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾
قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ
فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ

وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ)

***الميسر:أرأيت -أيها الرسول- أعجب من حال هؤلاء اليهود الذين**
أتاهم الله حظا من الكتاب فعلموا أن ما جئت به هو الحق،
يُدْعون إلى ما جاء في كتاب الله –و هو القرآن-
ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه،

–يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله عليهم بكتابه،
فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به و أسرعهم انقيادا لأحكامه،

(ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ)

***الميسر:فإن لم يوافق أهواءهم يأْبَ كثير منهم حكم الله؛**
لأن من عادتهم الإعراض عن الحق؟

–فأخبر الله عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولى فريق منهم
و هم يعرضون،
–تـــــولوا بأبدانهم،
–و أعــــــرضوا بقلوبهم، و هذا غاية الذم،
و في ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعلهم،
فيصيبنا من الذم و العقاب ما أصابهم،
–بل الواجب على كل أحد إذا دعي إلى كتاب الله أن :–

يسمــــــع و يطيـــــع و ينقـــــاد، كما قال تعالى

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾النور: ٥١

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ)

و السبب الذي غر أهل الكتاب بتجرئهم على معاصي الله هو قولهم

(لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ)

افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك و لم ينزجروا عن المحارم،

(وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)

***الميسر:و استمرارهم على دينهم الباطل الذي خَدَعوا به أنفسهم.**

-لأن أنفسهم مَنَّتْهُم و غرتهم أن مآلَهم إلى الجنة،

و كذبوا في ذلك، فإن هذا مجرد كذب و افتراء، و إنما مآلهم شر مآل،

و عاقبتهم عاقبة وخيمة، فلهذا قال تعالى

(فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ) .

***لا شك فِي وقوعه و كونِه

أي: كيف يكون حالهم و وخيم ما يقدمون عليه، حالة لا يمكن وصفها

و لا يتصور قبحها

*** كَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ :-

و قَدِ افْتـــــــــــــرَوْا عَلَى اللَّهِ

وَ كَـــــــذَّبُوا رُسُـــــــلَهُ

وَ قَتَـــــــلُوا أَنْبِيَـــــــاءَهُ وَ الْعُلَمَاءَ مِنْ قَوْمِهِمْ،

[الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ]

وَ اللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَ مُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، وَ مُجَازِيهِمْ بِهِ

(وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

لأن ذلك اليوم يوم توفية النفوس ما كسبت و مجازاتها بالعدل لا بالظلم،

و قد علم أن ذلك على قدر الأعمال،

و قد تقدم من أعمالهم ما يبين أنهم من أشد الناس عذابا.

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

يقول الله لنبيه ﷺ (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ)

أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق لك،

و المملكة كلها علويها و سفليها لك و التصريف و التدبير كله لك،

ثم فَصَّل بعض التصاريف التي انفرد الباري تعالى بها،

فقال: (تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ)

***الميسر: أنت الذي تمنح الملك والمال والتمكين في الأرض مَن تشاء مِن خلقك**

(وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ)

*** وتسلب الملك ممن تشاء**

–و فيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة و القياصرة

و من تبعهم و يؤتيه أمة محمد، و قد فعل و لله الحمد،

فحصول الملك و نزعه تبع لمشيئة الله تعالى،

و لا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية و الدينية

[التي هي سبب بقاء الملك و حصوله و سبب زواله]

فإنها كلها بمشيئة الله لا يوجد سبب يستقل بشيء،

بل الأسباب كلها تابعة للقضاء و القدر،

و من الأسباب التي جعلها الله سببا لحصول الملك الإيمان و العمل الصالح،

التي منها اجتماع المسلمين و اتفاقهم،

و إعدادهم الآلات التي يقدروا عليها و الصبر و عدم التنازع،

***** وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ وَ إِرْشَادٌ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛**

لِأَنَّ اللَّهَ حَوَّلَ النُّبُوَّةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَكِّيِّ الْأُمِّيِّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ،

قال الله تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ النور: ٥٥

فأخبر أن الإيمان و العمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور،و قال تعالى:

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾الأنفال: ٦٢ - ٦٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾الأنفال: ٤٥ - ٤٦

–فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين و ثباتهم و عدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء،

و أنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها:

1–تـــــرك الدين

2–و التـــــفرق الذي أطمع فيهم الأعداء و جعل بأسهم بينهم،

ثم قال تعالى: (وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ)

بطاعتك

*الميسر:و تهب العزة في الدنيا و الآخرة مَن تشاء،

(وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ) بمعصيتك

*الميسر: و تجعل الذلّة على من تشاء، ،

(بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ)

*الميسر: إثبات لصفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

(إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ)

*الميسر: إنك -وحدك- على كل شيء قدير.

–لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك و قدرتك .

(تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ) (Î)

أي: تدخل هذا على هذا، و هذا على هذا،

فينشأ عن ذلك من الفصول و الضياء و النور والشمس و الظل و السكون

و الانتشار، ما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله و عظمته و حكمته و رحمته

(وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ)

كالفرخ من البيضة،

و كالشجر من النوى،

و كالزرعِ من بذره،

[و كالمؤمن من الكافر]

(وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ)

كالبيضة من الطائر

و كالنوى من الشجر،

و كالحب من الزرعِ،

[و كالكافر من المؤمن،]

و هذا أعظم دليل على قدرة الله،

و أن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئا،

فخلقه تعالى الأضداد، و الضد من ضده بيان أنها مقهورة

(وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ)

أي: ترزق من تشاء رزقا واسعا من حيث لا يحتسب و لا يكتسب،
*** تُعْطِي مَنْ شِئْتَ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يَعده وَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْصَائِهِ،
وَ تَقْتُرُ عَلَى آخَرِينَ، لِمَا لك فِي ذَلِكَ مِنَ :-
[الْحِكْمَةِ وَ الْإِرَادَةِ وَ الْمَشِيئَةِ وَ الْعَدْلِ.]
ثم قال تعالى:

لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ
ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨

قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾

(لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ)

و هذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين :-

1-بالمحبـــــــة

2-و النصـــــــرة

3-و الاستعـــــــانة بهم على أمر من أمور المسلمين،

و توعد على ذلك فقال: (وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ)

أي: فقد انقطع عن الله، و ليس له في دين الله نصيب، لأن :-

1-[موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان]

2-[لأن الإيمان يأمر بموالاة الله و موالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله و جهاد أعدائه،]

قال تعالى:﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ التوبة: ٧١

فمن والى – الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله و يفتنوا أولياءه ←

1-خــــــرج من حزب المؤمنين،

2-و صـــــار من حزب الكافرين،

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾المائدة: ٥١

و في هذه الآية دليل على :

1–الابتعاد عن الكفار و عن معاشرتهم و صداقتهم،و الميل إليهم و الركون إليهم،

2–و أنه لا يجوز أن يُوَّلَى كافر ولايةً من ولايات المسلمين،

3–و لا يُستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين.

قال الله تعالى: (إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ)

أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان و إظهار ما به تحصل التقية.

***** إِلَّا من خاف فِي بعض البلدان أو الأوقات مِنْ شَرِّهِمْ، فَلَهُ أَنْ:-[يَتَّقِيَهُمْ بِظَاهِرِهِ لَا بِبَاطِنِهِ وَ نِيَّتِهِ]**

ثم قال تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ)

أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه:-

[*لِمَنْ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَ عَادَى أَوْلِيَاءَهُ] فيعاقبكم على ذلك**

(وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ)

أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصي أعمالهم و يحاسبهم عليها و يجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة،

و اعملوا ما به يحصل الأجر و المثوبة،

(قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ)

ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا،

(وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

و لما في السماء و الأرض عموما، و عن كمال قدرته،

ففيه إرشـــــــاد إلى:-

1-تطهير القلوب

2-و استحضار علم الله كل وقت

فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء،

3-بل يشغـــــــل أفكـــــــاره فيما:-

1 -يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب،

2- أو سنة من أحاديث رسول الله،

3- أو تصور و بحث في علم ينفعه،

4 -أو تفكر في مخلوقات الله و نعمه،

5 -أو نصح لعباد الله.

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا
وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ إِن كُنتُمۡ
تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا
وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ
وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ
عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا
وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ

و في ضمن إخبار الله عن علمه و قدرته الإخبار بما هو لازم ذلك من المجازاة على الأعمال، و محل ذلك يوم القيامة،

فهو الذي توفى به النفوس بأعمالها

فلهذا قال (يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا) .

أي: كاملا موفرا لم ينقص مثقال ذرة، كما قال تعالى:

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾الزلزلة: ٧

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُنَبَّأُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ} [الْقِيَامَةِ: 13]

فَمَا رَأَى مِنْ أَعْمَالِهِ حَسَنًا سَرَّهُ ذَلِكَ وَ أَفْرَحَهُ،

وَ مَا رَأَى مِنْ قَبِيحٍ سَاءَهُ وَ غَاظَهُ،

وَ وَدَّ لَوْ أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَمَدٌ بَعِيدٌ،

كَمَا يَقُولُ لِشَيْطَانِهِ الَّذِي كَانَ مُقْتَرِنًا بِهِ فِي الدُّنْيَا،

وَ هُوَ الَّذِي جرَّأه عَلَى فِعْلِ السُّوءِ:

{يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} [الزُّخْرُفِ: 38] .

و الخير: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة

صغيرها و كبيرها،

(وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ)

كما أن السوء:–

اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها و كبيرها

أي: مسافة بعيدة، لعظم أسفها و شدة حزنها،

فليحذر العبد من أعمال السوء التي لا بد أن يحزن عليها أشد الحزن،

و ليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦)
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الزمر: ٥٦ - ٥٧

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧)
يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ الفرقان: ٢٧ - ٢٩

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾
الزخرف: ٣٨

فو الله لترك كل شهوة و لذة و إن عسر تركها على النفس في هذه الدار أيسر من معاناة تلك الشدائد و احتمال تلك الفضائح،

و لكن العبد من ظُلْمه و جهله لا ينظر إلا الأمر الحاضر،

–فليس له عقل كامل يلحظ به عواقب الأمور فيقدم على ما ينفعه عاجلا و آجلا و يحجم عن ما يضره عاجلا و آجلا

–ثم أعاد تعالى تحذيرنا نفسه رأفة بنا و رحمة لئلا يطول علينا الأمد فتقسو قلوبنا، و ليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء و العمل الصالح، و الترهيب الموجب للخوف و ترك الذنوب،

فقال (وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ)

*****مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ**

–فنسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام، حتى:–

[لا نفعل ما يسخطه و يغضبه]

قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ

***هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ،
وَ لَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ،
حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَ الدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَ أَحْوَالِهِ،
كَمَا ثَبَتَ فِي صحيح مسلم

1718عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»( )

و هذه الآية فيها وجوب محبة الله، و علاماتها، و نتيجتها، و ثمراتها،

فقال (قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ)

أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، و الرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها،

-و علامة الصدق اتباع رسوله ﷺفي جميع أحواله، في أقواله و أفعاله،

في أصول الدين و فروعه، في الظاهر و الباطن،

-فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى،

و أحبه الله و غفر له ذنبه، و رحمه و سدده في جميع حركاته و سكناته،

(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود و معناه فهو باطل غير معتد به و هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺفإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات]

○و من لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى،

لأن محبته لله توجب له ←اتباع رسوله،

فما لم يوجد ذلك دل على عدمها و أنه كاذب إن ادعاها،

مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها،

–و بهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم و حبهم لله، و ما نقص من ذلك نقص.

(فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ)

*** يَحْصُلُ لَكُمْ فَوْقَ مَا طَلَبْتُمْ مِنْ مَحَبَّتِكُمْ إِيَّاهُ، .
وَ هُوَ مَحَبَّتُهُ إِيَّاكُمْ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ،
كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعُلَمَاءِ: -
لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبّ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبّ
-وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:
زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ:
{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}

(وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

*** بِاتِّبَاعِكُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ يَحْصُلُ لَكُمْ هَذَا كُلُّهُ بِبَرَكَةِ سِفَارَتِهِ.

(قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ)

و هذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر،

و هو طاعته و طاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان و التوحيد،

و ما هو من فروع ذلك من الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة،

بل يدخل في طاعته و طاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه،

لأن اجتنابه امتثالا لأمر الله هو من طاعته،

فمن أطاع الله و رسوله،فأولئك هم المفلحون

(فَإِن تَوَلَّوْاْ)

أي:أعرضوا عن طاعة الله و رسوله فليس ثَمَّ أمرٌ يرجعون إليه إلا الكفر

و طاعة كل شيطان مريد

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾الحج: ٤

فلهذا قال:

(فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ)

بل يبغضهم و يمقتهم و يعاقبهم أشد العقوبة،

و كأن في هذه الآية الكريمة بيانا و تفسيرا لاتباع رسوله،

و أن ذلك بطاعة الله و طاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي، ثم قال تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ

مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى

وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ

أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا
نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ
أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

(إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)

يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه و أصفيائه وأحبابه:-

1-فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده و نفخ فيه من روحه، و أمر الملائكة بالسجود له، و أسكنه جنته، و أعطاه من العلم و الحلم و الفضل ما فاق به سائر المخلوقات، و لهذا فضل بنيه، فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾الإسراء: ٧٠

2-و اصطفى نوحا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، و وفقه من الصبر و الاحتمال و الشكر و الدعوة إلى الله في جميع الأوقات ما أوجب اصطفاءه و اجتباءه،

-و أغرق الله أهل الأرض بدعوته، و نجاه و من معه في الفلك المشحون،

-و جعل ذريته هم الباقين،

–و ترك عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان و الأزمان.

3–و اصطفى آل إبراهيم و هو إبراهيم خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته،

و بـــــذل نفسه للنيران

و ولـــــده للقربان

و مـــــاله للضيفان،

و دعا إلى ربه ليلا و نهارا و سرا و جهارا،

و جعله الله أسوة يقتدي به من بعده،

و جعل في ذريته النبوة والكتاب،

و يدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده لأنهم من ذريته،

و قد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين،

☼و منهم سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺفإن الله تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرق في غيره،

–و فاق ﷺالأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم.

4–و اصطفى الله آل عمران و هو والد [مريم بنت عمران]

أو والد [موسى بن عمران] عليه السلام،

فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين،

و تسلسل الصلاح و التوفيق بذرياتهم،

فلهذا قال تعالى (ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ) .

أي: حصل التناسب و التشابه بينهم في الخلق و الأخلاق الجميلة،

كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار :-

﴿ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾
الأنعام: ٨٧

(وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

-يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه و من لا يستحق ذلك فيخذله و يرديه،

-و دل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه و كرما،

<u>و من الفائدة و الحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء:-</u>

1- أن نحـــــبهم و نقتدي بهم،

2-و نسأل الله أن يوفـــــقنا لما وفقهم،

3-و أن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم و عدم اتصافنا بأوصافهم و مزاياهم الجميلة،

و هذا أيضا من لطفه بهم، و إظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين،

4-و التنويه بشـــــرفهم، فلله ما أعظم جوده و كرمه و أكثر فوائد معاملته،

لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكارهم مخلدة و مناقبهم مؤبدة

لكفى بذلك فضلا .

و لما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والدة عيسى و كيف لطف الله بها في تربيتها و نشأتها،

فقال: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾

أي: والدة مريم لما حملت

*** امْرَأَةُ عِمْرَانَ هَذِهِ أَمُّ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَ هِيَ [حَنَّة بِنْتُ فَاقُوذَ]

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾

أي: جعلت ما في بطني خالصا لوجهك، محررا لخدمتك و خدمة بيتك

﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓ﴾

هذا العمل المبارك

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

تسمع دعائي و تعلم نيتي و قصدي، هذا و هي في البطن قبل وضعها .

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾

كأنها تشوفت أن يكون ذكرا ليكون أقدر على الخدمة و أعظم موقعا،

[ففي كلامها نوع عذر من ربها]

فقال الله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾

أي: لا يحتاج إلى إعلامها، بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هي

(وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ)

○فيه دلالــــــة على :-

1-فضيل الذكر على الأنثى،

2-و على التسمية وقت الولادة،

3-و على أن للأم تسمية الولد إذا لم يكره الأب

(وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)

دعت لها و لذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم.

*** صحيح البخاري

3431 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَ ابْنِهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: {وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: 36] "( )

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ)

أي: جعلها نذيرة مقبولة، و أجارها و ذريتها من الشيطان

(وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)

(يمسه الشيطان) يناله بيده من غير حاجز.

(فيستهل) يصوت عند ولادته.

(أعيذها) أجيرها وأحصنها.

(الرجيم) الطريد من رحمة الله تعالى

أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها و خلقها و أخلاقها،

لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام

(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)

إياه، وهذا من رفقه بها ليربيها على أكمل الأحوال،

فنشأت في عبادة ربها و فاقت النساء،

و انقطعت لعبادة ربها، و لزمت محرابها أي: مصلاها فكان

***وَ إِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ كَوْنَ زَكَرِيَّا كَافِلَهَا لِسَعَادَتِهَا، لِتَقْتَبِسَ مِنْهُ عِلْمًا جَمًّا نَافِعًا
وَ عَمَلًا صَالِحًا؛ وَ لِأَنَّهُ كَانَ زَوْجَ خَالَتِهَا،
وَ قِيلَ: زَوْجُ أُخْتِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ:
"فَإِذَا بِيحيى و عِيسَى، وَ هُمَا ابْنَا الخَالَةِ"،

(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا)

***يَعْنِي وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ

أي: من غير كسب و لا تعب، بل رزق ساقه الله إليها،و كرامة أكرمها الله بها،

فيقول لها زكريا (قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ)

فضلا و إحسانا

(إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

أي: من غير حسبان من العبد و لا كسب،

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣

و في هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة

كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافا لمن نفى ذلك،

❍فلما رأى زكريا عليه السلام ما من الله به على مريم،

و ما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها و لا كسب،

طمعت نفسه بالولد، فلهذا قال تعالى:

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ
(٣٨) فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا
بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ (٤٠) قَالَ
رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٤١) وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ
ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٢) يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ
وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ
لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ
(٤٤) إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ
مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ (٤٥)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ
(٣٨) فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا
بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي

غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ
رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ)

أي: دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ذرية طيبة،

أي: طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل النعمة الدينية و الدنيوية بهم.

فاستجاب له دعاءه.

(فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ)

و بينما هو قائم في محرابه يتعبد لربه و يتضرع نادته الملائكة

(أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ)

***الميسر:و هو أنك سترزق بولد اسمه يحيى،**
يُصَدِّق بكلمة من الله –و هو عيسى بن مريم عليه السلام-

أي: بعيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله

(وَسَيِّدٗا)

أي: يحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيدا يرجع إليه في الأمور

(وَحَصُورٗا)

أي: ممنوعا من إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة،

اشتغالا بخدمة ربه و طاعته

(وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

فأي: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده،

و بكمال صفاته، و بكونه نبيا من الصالحين، فقال زكريا من شدة فرحه

(قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ)

و كل واحد من الأمرين مانع من وجود الولد، فكيف و قد اجتمعا،

فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال:

(قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ)

فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل،

فإذا أراد أن يوجدهم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصي عليه شيء،

فقال زكريا عليه السلام استعجالا لهذا الأمر، و ليحصل له كمال الطمأنينة.

(قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ)

أي: علامة على وجود الولد

(قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ)

أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة و لا سوء،

فلا تقدر إلا على الإشارة و الرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام،

و فيه مناسبة عجيبة:—

و هي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها،

فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه و قدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام،

(وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ)

و أمره الله أن يشكره و يكثر من ذكره بالعشي و الإبكار،

حتى إذا خرج على قومه من المحراب

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ (□)

أي: أول النهار و آخره.

وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

ينوه تعالى بفضيلة مريم و علو قدرها، و أن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت

(وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ)

أي: اختارك

*** صحيح البخاري

3432 - عن عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:
«خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَ خَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»( )

مريم: ١١

*** صحيح البخاري

3411 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ:
" كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ:
إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ،
وَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ،
وَ إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ "( )

(وَطَهَّرَكِ)

من الآفات المنقصة

(وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ)

الاصطفاء الأول :-يرجع إلى الصفات الحميدة و الأفعال السديدة،

و الاصطفاء الثاني:-

❍يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين،

إما على عالمي زمانها، أو مطلقا،

و إن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة و عائشة و فاطمة،

لم يناف الاصطفاء المذكور،

۞فلما أخبرتها الملائكة باصطفاء الله إياها وتطهيرها،

(خير نسائها) أي نساء الدنيا في زمانها]

(كمل) تناهى في جميع الفضائل التي تكون للجنس عامة.

(الثريد) الخبز المكسر الذي وضع عليه اللحم والمرق.

(سائر) باقي الأنواع من الطعام]

كان في هذا من النعمة العظيمة و المنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فلهذا قالت لها الملائكة:

(يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ)

القنوت دوام الطاعة في خضوع و خشوع،

(وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ)

۞خص السجود و الركوع لفضلهما و دلالتهما على غاية الخضوع لله، ففعلت مريم، ما أمرت به شكرا لله تعالى و طاعة،

و لما أخبر الله نبيه بما أخبر به عن مريم،

و كيف تنقلت بها الأحوال التي قيضها الله لها،

و كان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي.

قال (ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ)

***نقصه عليك

(وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ)

أي: عندهم

(إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ)

لما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس،

فتشاحوا و تخاصموا أيهم يكفل مريم،

و اقترعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في النهر،

فأيهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها،

فوقع ذلك لزكريا نبيهم و أفضلهم،

فلما أَخْبَرتَهُم يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك و لا لقومك بها :–

دل على أنك صادق و أنك رسول الله حقا،

فوجب عليهم الانقياد لك و امتثال أوامرك، كما قال تعالى:

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾
القصص: ٤٤

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

*** بِوَلَدٍ يَكُونُ وُجُودُهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَيْ: بِقَوْلِهِ لَهُ: "كُنْ" فَيَكُونُ

وَ هَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ} [آلِ عِمْرَانَ: 39]

كَمَا ذَكَرَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ

○يخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بأعظم بشارة،

و هو [كلمة الله عبده و رسوله] "عيسى ابن مريم"،

✡سُمِي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب،

و جعله الله من آياته و عجائب مخلوقاته،

فأرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم،

فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكي،

فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية،

فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية، فلهذا سمى روح الله

(وَجِيهًا فِي ٱلدُّنۡيَا)

أي: له الوجاهة العظيمة في الدنيا:-

1-جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار و الأتباع،

2-و نشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق و المغرب،

(وَٱلۡأٓخِرَةِ)

و في الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة إخوانه من النبيين و المرسلين،

و يظهر فضله على أكثر العالمين،

(وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ)

فلهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى ربهم، بل هو عليه السلام

من سادات المقربين.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ
وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ
ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ
ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾
إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾

(وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ)

***الميسر :ويكلم الناس وهو رضيع قبل أوان الكلام،**

***صحيح البخاري 3436**

لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ:

1-عِيسَى،

2-وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، ....

فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي،

3- وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ......)

و هذا غير التكليم المعتاد، بل المراد يكلم الناس بما فيه صلاحهم

وفلاحهم، وهو تكليم المرسلين،

ففي هذا إرساله و دعوته الخلق إلى ربهم،

و في تكليمهم في المهد آية عظيمة من آيات الله:-

1-ينتفع بها المؤمنون،

2-و تكون حجة على المعاندين، أنه رسول رب العالمين،

3-و أنه عبد الله،

4-و ليكون نعمة وبراءة لوالدته مما رميت به

(وَكَهْلًا)

*أيسر التفاسير:الكهولة:سن ما بين الشباب و الشيخوخة.

(وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ)

أي: يمن عليه بالصلاح، من منَّ عليهم، ويدخله في جملتهم،

وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه السلام

(قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)

* أيسر التفاسير:تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع ولا لغيره،

وذلك لعقمها وبعدها عن الرجال الأجانب.

–والولد في العادة لا يكون إلا من مس البشر، وهذا استغراب منها،

[لا شك في قدرة الله تعالى]:

(**قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ**)

*** **وَصَرَّحَ هَاهُنَا بِقَوْلِهِ: {يَخْلُقُ} وَلَمْ يَقُلْ: "يَفْعَلُ" كَمَا فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا،**
بَلْ نَصَّ هَاهُنَا عَلَى أَنَّهُ يَخْلُقُ: لِئَلَّا يَبْقَى شُبْهَةً،

-وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ}

أَيْ: فَلَا يَتَأَخَّرُ شَيْئًا، بَلْ يُوجَدُ عَقِيبَ الْأَمْرِ بِلَا مُهْلَةٍ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ القمر: ٥٠

أَيْ: إِنَّمَا نَأْمُرُ مَرَّةً وَاحِدَةً لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهَا،
فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ سَرِيعًا كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ .

–فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه من يقول لكل أمر أراده:–

[كـــــــن فيكـــــــون]،

–فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب والتعجب،

–ومن حكمة الباري تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب

إلى ما هو أغرب منه:–

1–فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر عاقر،

2–ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب،

وهو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب

ليدل عباده أنه الفعال لما يريد و أنه ما شاء كان و ما لم يشاء لم يكن.

-ثم أخبر تعالى عن منته العظيمة على عبده ورسوله عيسى عليه السلام

فقال ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾

1-يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب،

فيكون ذكر التوراة والإنجيل تخصيصا لهما، لشرفهما وفضلهما واحتوائهما

على الأحكام والشرائع التي يحكم بها أنبياء بني إسرائيل والتعليم،

[لذلك يدخل فيه تعليم ألفاظه ومعانيه]

2-ويحتمل أن يكون المراد بقوله ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾

أي:الكتابة، لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده

ولهذا امتن تعالى على عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها فقال

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ

﴾ العلق: ١ ـ ٤

﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾

والمراد بالحكمة معرفة أسرار الشرع، ووضع الأشياء مواضعها،

فيكون ذلك امتنانا على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة،

و هذا هو الكمال للإنسان في نفسه.

ثم ذكر له كمالا آخر وفضلا زائدا على ما أعطاه الله من الفضائل، فقال

(وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين في زمانهم يدعوهم إلى الله،

و أقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقا ونبيه صدقا ولهذا قال

(أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ)

طيرا، أي: أصوره على شكل الطير

(فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ)

أي: طيرا له روح تطير بإذن الله

(وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ)

وهو الذي يولد أعمى

(وَٱلۡأَبۡرَصَ)

بإذن الله

* **الجزائري: ذو البرص وهو مرض عياء عجز عنه الطب القديم والحديث،**

و البرص: بياض يصيب الجلد البشري.

(وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡ)

***الجزائري:تحبسونه وتخفونه عن أطفالكم من الطعام وغيره**

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

و أي: آية أعظم من :-

1-جعـــــل الجماد حيوانا،

2-و إبـــــراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها،

3-و إحياء الموتى،

4-و الإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها،

فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟

فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان.

(وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ)

أي: أتيت بجنس ما جاءت به التوراة وما جاء به موسى عليه السلام،

و علامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين، يخبر بالصدق،

و يأمر بالعدل من غير تخالف و لا تناقض، بخلاف من ادعى دعوى كاذبة،

خصوصا أعظم الدعاوى وهي دعوى النبوة،

-فالكاذب فيها لا بد أن يظهر لكل أحد كذب صاحبها و تناقضه و مخالفته

لأخبار الصادقين و موافقته لأخبار الكاذبين،

-هذا موجب السنن الماضية و الحكمة الإلهية و الرحمة الربانية بعباده،

إذ لا يشتبه الصادق بالكاذب في دعوى النبوة أبدا،

بخلاف بعض الأمور الجزئية، فإنه قد يشتبه فيها الصادق بالكاذب،

–و أما النبوة فإنه يترتب عليها هداية الخلق أو ضلالهم وسعادتهم وشقاؤهم –

و معلوم أن الصادق فيها من أكمل الخلق،

و الكاذب فيها من أخس الخلق و أكذبهم و أظلمهم،

فحكمة الله ورحمته بعباده أن يكون بينهما من الفروق ما يتبين لكل من له عقل،

ثم أخبر عيسى عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسرة فقال

(وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)

فدل ذلك على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمما لها ومقررا

(وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)

تدل على صدقي ووجوب اتباعي، وهي ما تقدم من الآيات،

والمقصود من ذلك كله قوله (فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)

بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وأطيعوني فإن طاعة الرسول طاعة لله.

(إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ)

استدل بتوحيد الربوبية الذي يقر به كل أحد على توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون،

–فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعما ظاهرة وباطنة،

فليكن هو معبودنا الذي نألهه بالحب والخوف والرجاء والدعاء والاستعانة وجميع أنواع العبادة،

-وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله،

وهذا إقراره عليه السلام بأنه عبد مدبر مخلوق، كما قال

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾مريم: ٣٠

وقال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾المائدة: ١١٦

وقوله (هَٰذَا)

أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله

(صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ)

موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم.

(فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ)

أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين،

وهموا بقتله وسعوا في ذلك

(قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ)

من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله

*** وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ مَنْ أَنْصَارِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؟

كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ، قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ:

-مسند أحمد مخرجا 14456

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ،
يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ:
«مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»
حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ - كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ،
فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ،
وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ،
حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ،
فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ،
فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ،
حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا،
فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟
فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ،
فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا،
فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ،
قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ،
وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ،
وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ،
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ،

وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ» ،
قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ،
فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ،
فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ،
وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ،
وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً،
فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْذَرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ،
قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا،
قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ،
***حَتَّى وَجَدَ الْأَنْصَارَ فَآوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، وَهَاجَرَ إِلَيْهِمْ فَآسَوْهُ
وَمَنَعُوهُ مِنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ.
وَهَكَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، انْتَدَبَ لَهُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَآمَنُوا بِهِ وَآزَرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ.
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ:
{قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ *رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} الْحَوَارِيُّونَ،
-كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ
صحيح البخاري
7261 - عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثَلاَثًا،
فَقَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»

(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) وهم الأنصار

***الجزائري: جمع حواري، و المراد بهم أصفياؤه و أصحابه.**
كانوا اثني عشر رجلاً،
و سمى الناصر للنبي حواريا لبياض قلبه و صفاء روحه
و الحور لغة: البياض،
و الحواري: الخبز الأبيض.

(نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)

أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك.

(آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

***ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مَلَأِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا هَمُّوا بِهِ مِنَ الْفَتْكِ بِعِيسَى، عليه السلام
وَإِرَادَتِهِ بِالسُّوءِ والصَّلب، حِينَ تَمالؤوا عَلَيْهِ
وَوَشَوا بِهِ إِلَى مَلِكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَكَانَ كَافِرًا،
1-فأنْهَوا إِلَيْهِ أَنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يُضِلُّ النَّاسَ
2-وَ يَصُدُّهُمْ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ،
3-وَ يُفَنِّد الرَّعَايَا،
4-وَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقَلَّدُوهُ فِي رِقَابِهِمْ
وَ رَمَوْهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ،
5-وَ أَنَّهُ وَلَدُ زَانِيَةٍ حَتَّى اسْتَثَارُوا غَضَبَ الْمَلِكِ،
فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ مَنْ يَأْخُذُهُ وَ يَصْلُبُهُ و يُنَكِّل بِهِ،
فَلَمَّا أَحَاطُوا بِمَنْزِلِهِ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ظَفروا بِهِ، نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ،

وَ رَفَعَهُ مِنْ رَوْزَنَة ( )ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ،
وَ أَلْقَى اللَّهُ شَبَهَهُ عَلَى رَجُلٍ مِمَّنْكَانَ عِنْدَهُ فِي الْمَنْزِلِ،
فَلَمَّا دَخَلَ أُولَئِكَ اعْتَقَدُوهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عِيسَى، عليه السلام
فَأَخَذُوهُ وَأَهَانُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ الشَّوْكَ.
وَ كَانَ هَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِهِمْ، فَإِنَّهُ نَجَّى نَبِيَّهُ وَرَفَعَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ،
وَ تَرَكَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ يَعْمَهُونَ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ قَدْ ظَفِرُوا بطَلبتِهِم،
وَ أَسْكَنَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ قَسْوَةً وَعِنَادًا لِلْحَقِّ مُلَازِمًا لَهُمْ،
وَ أَوْرَثَهُمْ ذِلَّةً لَا تُفَارِقُهُمْ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾آل عمران: ٥٤

تكملة المعاجم العربية: تستعمل اليوم بمعنى فجوة تترك في جانب السقف لينشل التراب منها ثم تسد متى انتهى العمل (محيط المحيط).

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣
وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي
مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ
فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ
أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ
٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ
ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ
نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣
وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ
وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ

إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ
٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا
يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ

وقالوا: (رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ)

أي: الشهادة النافعة، و هي الشهادة بتوحيد الله و تصديق رسوله مع القيام بذلك،

فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله و إقامة شرعه آمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة،

فاقتتلت الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فلهذا قال تعالى هنا

(وَمَكَرُواْ)

أي: الكفار بإرادة قتل نبي الله و إطفاء نوره

(وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ)

بهم جزاء لهم على مكرهم

(وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ)

رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين.

(إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)

***اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}
فَقَالَ قَتَادَةُ وَ غَيْرُهُ: هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ، تَقْدِيرُهُ:-
إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُتَوَفِّيكَ، يعني بعد ذلك.
وَ قَالَ الْأَكْثَرُونَ: الْمُرَادُ بِالْوَفَاةِ هَاهُنَا: النَّوْمُ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ }
[الْأَنْعَامِ: 60]

وَ قَالَ تَعَالَى:{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الزُّمَرِ: 42]

وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيقول -إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ-:
"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أحْيَانَا بَعْدَمَا أمَاتَنَا وإلَيْهِ النُّشُورُ"( )

–فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقي شبهه على غيره،

فأخذوا من ألقي شبهه عليه فقتلوه وصلبوه،

وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله،

قال الله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾النساء: ١٥٧

وفي هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة،

البخاري6312

كما دلت على ذلك النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول و الإيمان و التسليم، و كان الله عزيزا قويا قاهرا،

-و من عزته أن كف بني إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم المانع لهم عن قتل عيسى عليه السلام كما قال تعالى

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة: ١١٠

-حكيم يضع الأشياء مواضعها، وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل، فوقعوا في الشبه كما قال تعالى

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء: ١٥٧

(وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

***بِرَفْعِي إِيَّاكَ إِلَى السَّمَاءِ

ثم قال تعالى:

(وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ)

وتقدم أن الله أيد المؤمنين منهم على الكافرين،

ثم إن النصارى المنتسبين لعيسى عليه السلام لم يزالوا قاهرين لليهود

لكون النصارى أقرب إلى اتباع عيسى من اليهود،

حتى بعث الله نبينا محمدا ﷺفكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار،

–وإنما يحصل في بعض الأزمان إدالة الكفار من النصارى وغيرهم على المسلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول ﷺ

(ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ)

أي: مصير الخلائق كلها

(فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ)

كل يدعي أن الحق معه و أنه المصيب و غيره مخطئ،

و هذا مجرد دعاوى تحتاج إلى برهان.

ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط و العدل، فقال

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

أي: بالله و آياته ورسله

(فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ)

أما عذاب الدنيا:–

فهو ما أصابهم الله به من القوارع و العقوبات المشاهدة و القتل و الذل، وغير ذلك مما هو [نموذج]من عذاب الآخرة،

وأما عذاب الآخرة:–

فهو الطامة الكبرى و المصيبة العظمى، ألا و هـــــو :–

1–عذاب النار

2–و غضب الجبار

3–و حرمانهم ثواب الأبرار

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)

ينصرونهم من عذاب الله، لا من زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله،

و لا ما اتخذوهم أولياء من دونه، و لا أصدقائهم و أقربائهم،

و لا أنفسهم ينصرون.

***﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾الرعد: ٣٤ (Ï)

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

بالله و ملائكته و كتبه و رسله و البعث بعد الموت و غير ذلك مما أمر الله

بالإيمان به

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

القلبية و القولية و البدنية التي جاءت بشرعها المرسلون،

و قصدوا بها رضا رب العالمين

(فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ)

دل ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم مـــــــن:–

واق :أي مانع يمنعهم من العذاب-:أيسر التفاسير

[الإكرام و الإعزاز و النصر و الحياة الطيبة]

و إنما توفية الأجور يوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات محضرا موفرا، فيعطي منهم كل عامل أجر عمله و يزيدهم من فضله و كرمه

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ)

بل يبغضهم و يحل عليهم سخطه و عذابه.

(ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ)

هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاه عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَمْرِ عِيسَى وَ مَبْدَأِ مِيلَادِهِ
وَ كَيْفِيَّةِ أَمْرِهِ، هُوَ مِمَّا قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ
وَ نَزَّلَهُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ،
فَلَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ،

***كقوله﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾مريم: ٣٤

وهذا منة عظيمة على رسوله محمد ﷺو على أمته،

حيث أنزل عليهم هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقـــــــن، :-

[المفصل للأحكام والحلال والحرام و إخبار الأنبياء الأقدمين]

و ما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات و المعجزات الباهرات،

فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار و الأحكام،

-فيحصل فيها العلم و العبرة و تثبيت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد، ثم قال تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)

***فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ،

بَلْ {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}

وَ الَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى،

وَ إِنْ جَازَ ادِّعَاءُ الْبُنُوَّةِ فِي عِيسَى بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ،

-فَجَوَازُ ذَلِكَ فِي آدَمَ بِالطَّرِيقِ الْأَوْلَى،

وَمَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ،

فَدَعْوَاهَا فِي عِيسَى أَشَدُّ بُطْلَانًا وَأَظْهَرُ فَسَادًا.

وَ لَكِنَّ الرَّبَّ، عَزّ وَجَلَّ، أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ قُدْرَتَهُ لِخَلْقِهِ،

حِينَ خَلَقَ آدَمَ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى؛

وَ خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى،

وَ خَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ كَمَا خَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةَ مَنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى،

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: {وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ} [مَرْيَمَ: 21] .

–يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان و لا شبهة،

–بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، و هذا ليس بشبهة فضلا أن يكون حجة،

لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق و التدبير

و أن جميع الأسباب طوع مشيئته و تبع لإرادته،

فهو على نقيض قولهم أدل،

و على أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى،

و مع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب و لا أم،

-فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح،

فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى و أحرى،

○فإن صح إدعاء البنوة و الإلهية في المسيح،

فادعاؤها في آدم من باب أولى و أحرى، فلهذا قال تعالى

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ)

أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك و لأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام.

(فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)

أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك،

و في هذه الآية و ما بعدها دليل على قاعدة شريفة

و هو أن ما قامت الأدلة على أنه حق و جزم به العبد من مسائل العقائد و غيرها

←فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل،

➜وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا
فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه،
لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يونس: ٣٢

و بهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون
و يرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه،
و إلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته و يدعو إليه.

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

(فَمَنْ حَآجَّكَ)
جادلك في عيسى عليه السلام و زعم أنه فوق منزلة العبودية،
بل رفعه فوق منزلته

(مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ)
بأنه عبد الله و رسوله و بينت لمن جادلك ما عندك من الأدلة الدالة على أنه
عبد أنعم الله عليه،
[دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني]،

←فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها و لا يستفيدها هو،
لأن الحق قد تبين، فجداله فيه جدال معاند مشاق لله و رسوله،
قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة،

(فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ)
* الميسر:ثم نتجه إلى الله بالدعاء
❍فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته و ملاعنته،
فيدعون الله و يبتهلون إليه

(فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)
–أن يجعل لعنته و عقوبته على الكاذب من الفريقين،
هو و أحب الناس إليه من الأولاد و الأبناء و النساء،
–فدعاهم النبي ﷺإلى ذلك فتولوا و أعرضوا و نكلوا،
–و علموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهليهم و أولادهم فلم يجدوا أهلا
و لا مالا و عوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم ببطلانه،
و هذا غاية الفساد و العناد،
***وَ كَانَ سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْمُبَاهَلَةِ وَ مَا قَبْلَهَا مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا فِي
وفد نجران، أن النصارى حين قَدِمُوا فَجَعَلُوا يُحَاجّون فِي عِيسَى،
وَ يَزْعُمُونَ فِيهِ مَا يَزْعُمُونَ مِنَ الْبُنُوَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ رَدا عَلَيْهِمْ،كَمَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ
***صحيح البخاري

4380 - عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ،
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺيُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ،
قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَاتَفْعَلْ،
فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَ لاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا،
قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا،
وَ لاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا.
فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»،
فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»( )
فلهذا قال تعالى:

(العاقب) صاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح.
(السيد) رئيسهم واسمه الأيهم.
(صاحبا نجران) من أكابر النصارى فيها.
(يلاعناه) يباهلاه بأن يدعو كل فريق بالعذاب على المبطل.
(ما سألتنا) الذي طلبته منا من الجزية]

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢ فَإِن
تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٣ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا
وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن
دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ
تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ
٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ
عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ
وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ
يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ
تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢
فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ

وأخبر تعالى (إِنَّ هَٰذَا) الذي قصه الله على عباده

(لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ) و

كل قصص يقص عليهم مما يخالفه و يناقضه فهو باطل

(وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ)

فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له،

و لا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة

(وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

الذي قهر كل شيء و خضع له كل شيء

(ٱلۡحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها،

و له الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم و يجادلونهم

و يجاهدونهم بالقول والفعل .

(فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ)

***مِنْ عَدَلَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ فَهُوَ الْمُفْسِدُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِهِ،
وَسَيَجْزِيهِ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ،
وَ هُوَ الْقَادِرُ، الَّذِي لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ حُلُولِ نِقَمَهِ
–فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ

(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ)

لأهل الكتاب من اليهود و النصارى

(تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ)

***وَ الْكَلِمَةُ تُطْلَقُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُفِيدَةِ كَمَا قَالَ هَاهُنَا.ثُمَّ وَصَفَهَا بِقَوْلِهِ:

{سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ}

أَيْ: عَدْلٌ وَ نَصَفٌ، نَسْتَوِي نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا.

–أي: هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون،

ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون،

ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا و بينكم،

و هذا من العدل في المقال و الإنصاف في الجدال،

ثم فسرها بقوله (أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا)

فنفرد الله بالعبادة و نخصه بالحب و الخوف و الرجاء

و لا نشرك به نبيا و لا ملكا و لا وليا و لا صنما و لا وثنا و لا حيوانا

و لا جمادا

(وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ)

***الميسر:و لا يدين بعضنا لبعض بالطاعة من دون الله.**

-بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق،

لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية،

فإذا دعي أهل الكتاب أو غيرهم إلى ذلك،

فإن أجابوا كانوا مثلكم، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم،

(فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ)

***صحيح البخاري

و في رسالة رسول الله الي هرقل :عن أبي سفيان

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺالَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى،
فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ

فَإِذَا فِيهِ" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ:

سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ:-

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،

فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ "

وَ {يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فأشهدوهم أنكم مسلمون،

-و لعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك و أنتم أهل العلم على الحقيقة:-

1-كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين،

2-وأيضا فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبأ الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم و لخبث طويتهم، كما قال تعالى

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾الإسراء: ١٠٧

3-و أيضا فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه و يعلن بإسلامه، إخبارا بيقينه و شكرا لنعمة ربه.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا
نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا،
و النصارى أنه نصراني، و جادلوا على ذلك،
رد تعالى محاجتهم و مجادلتهم من ثـــــلاثة أوجــــــه:-
أحدها:

(هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم،
فلا يمكن لهم و لا يسمح لهم أن يحتجوا و يجادلوا في أمر هم أجانب عنه
و هم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا
-فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم،
الوجه الثاني: أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة،
و النصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل،
و التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم،
فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟!
فلهذا قال (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)
أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك،
الوجه الثالث:

(مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)

-أن الله تعالى برأ خليله من اليهود و النصارى و المشركين،

و جعله حنيفا مسلما،

(إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

و جعل أولى الناس به من آمن به من أمته، و هذا النبي و هو محمد ﷺ

و من آمن معه، فهم الذين اتبعوه و هم أولى به من غيرهم،

و الله تعالى وليهم و ناصرهم و مؤيدهم،

و أما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود و النصارى و المشركين،

فليسوا من إبراهيم و ليس منهم،

و لا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب.

و قد اشتمـــــــلت هذه الآيـــــــات على:-

1-النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم،

2-و أن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه و لا يسمح له فيه،

3-و فيها أيضا حث على علم التاريخ،

و أنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة و الدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ، ثم قال تعالى:

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة من أهل الكتاب، و أنهم يودون أن يضلوكم، كما قال تعالى

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾البقرة: ١٠٩

و من المعلوم أن من ود شيئا سعى بجهده على تحصيل مراده،

فهذه الطائفة تسعى و تبذل جهدها في رد المؤمنين

و إدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرون عليه،

و لكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

فلهذا قال تعالى (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ)

فسعيهم في إضلال المؤمنين زيادة في ضلال أنفسهم و زيادة عذاب لهم، قال تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾النحل: ٨٨

(وَمَا يَشْعُرُونَ)

بذلك أنهم يسعون في ضرر أنفسهم و أنهم لا يضرونكم شيئا.

(يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ)

*الميسر:يا أهل التوراة و الإنجيل لم تجحدون آيات الله التي أنزلها على رسله في كتبهم،

و فيها أن محمداً ﷺهو الرسول المنتظر،

و أن ما جاءكم به هو الحق،

-أي:ما الذي دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل،

وأن ما جاءكم به محمد ﷺهو الحق الذي لا تشكون فيه

(وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ)

بذلك؟ و لكنكم تنكرونه.

-بل تشهدون به و يُسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات،

فهذا نهيهم عن ضلالهم.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ وَقَالَت
طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ
ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن
يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤
۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ
لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ
وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ
لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١

وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ
وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ
هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾
يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

ثم وبخهم على إضلالهم الخلق، فقال

(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

(لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ)

***الميسر:** لِمَ تخلطون الحق في كتبكم بما حرفتموه و كتبتموه من الباطل بأيديكم**

(وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ)

***تَكْتُمُونَ مَا فِي كُتُبِكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَ تَتَحَقَّقُونَهُ.

-فوبخهم على لبس الحق بالباطل و على كتمان الحق،

لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم،

فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما،

بل أبقوا الأمر مبهما وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره،

← 1-ترتب على ذلك من خفاء الحق

2–و ظهور الباطل ما ترتب،

3–و لم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه،

❍والمقصود من أهل العلم :

1–أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به،

2–و يميزوا الحق من الباطل،

3–و يظهروا الخبيث من الطيب،

و الحلال و الحرام ،

و العقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة،

ليهتدي المهتدون و يرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين قال تعالى

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾آل عمران: ١٨٧

✡ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة،

وإرادة المكر بالمؤمنين، فقال

(وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ

وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ)

أي: ادخلوا في دينهم على وجه المكر والكيد أول النهار،

فإذا كان آخر النهار فاخرجوا منه

***هَذِهِ مَكِيدَةٌ أَرَادُوهَا[ليلْبسُوا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنَ النَّاسِ أَمْر دِينِهِمْ]،

وَ هُوَ أَنَّهُمْ اشْتَوروا بَيْنَهُمْ أَنْ يُظْهِرُوا الْإِيمَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ
و يُصَلّوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الصُّبْحِ،
فَإِذَا جَاءَ آخِرُ النَّهَارِ ارْتَدُّوا إِلَى دِينِهِمْ لِيَقُولَ الْجَهَلَةُ مِنَ النَّاسِ:-
إِنَّمَا رَدّهم إِلَى دِينِهِمْ اطّلاعهُم عَلَى نَقِيصَةٍ وَ عَيْبٍ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ،
وَ لِهَذَا قَالُوا

(لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

عن دينهم، فيقولون لو كان صحيحا لما خرج منه أهل العلم و الكتاب،

هذا الذي أرادوه عجبا بأنفسهم

و ظنا أن الناس سيحسنون ظنهم بهم و يتابعونهم على ما يقولونه و يفعلونه،

و لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.

(وَلَا)

قال بعضهم لبعض

(تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ)
***لَا تُظْهِرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْكُمْ،
وَ يُسَاوُوكُمْ فِيهِ، وَ يَمْتَازُوا بِهِ عَلَيْكُمْ لِشِدَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ،
أي: لا تثقوا و لا تطمئنوا و لا تصدقوا إلا من تبع دينكم، و اكتموا أمركم،

فإنكم إذا أخبرتم غيركم و غير من هو على دينكم حصل لهم من العلم ما

حصل لكم فصاروا مثلكم،

(أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ)

***أَوْ يُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ، أَيْ: -
يَتَّخِذُوهُ حُجَّةً عَلَيْكُمْ مِمَّا بِأَيْدِيكُمْ،
فَتَقُومُ بِهِ عَلَيْكُمُ الدَّلَالَةُ و تَتَرَكَّب الحجةُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.
❍أو حاجوكم عند ربكم وشهدوا عليكم أنها قامت عليكم الحجة

وتبين لكم الهدى فلم تتبعوه،

❍فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار المؤمنين بما معهم من العلم قاطعا عنهم

العلم،

❍لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم و موجبا للحجة عليهم،

فرد الله عليهم

(قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ)

فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى،

فإن الهدى إما علم الحق، أو إيثارة،

و لا علم إلا ما جاءت به رسل الله،ولا موفق إلا من وفقه الله،

و أهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلا

–و أما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم و سوء مقاصدهم،

–و أما هذه الأمة فقد حصل لهم و لله الحمد من هداية الله من العلوم

و المعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به و برزوا على كل أحد،

فكانوا هم الهداة الذين يهدون بأمر الله،

و هذا من فضل الله عليها و إحسانه العظيم،

فلهذا قال تعالى

(قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ)

أي: الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان

(يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ)

ممن أتى بأسبابه

(وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)

الفضل كثير الإحسان

(عَلِيمٌ)

بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه.

***الأمورُ كُلَّهَا تَحْتَ تَصْرِيفِه،

-وَ هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ، يَمُنّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَ الْعِلْمِ وَ التَّصَوُّرِ التَّامِّ،

-وَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ و يُعمي بَصَرَهُ وَ بَصِيرَتَهُ، وَ يَخْتِمُ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ،

وَ يَجْعَلُ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، وَ لَهُ الْحُجَّةُ وَ الْحِكْمَةُ .

(يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ)

أي: برحمته المطلقة التي تكون في الدنيا متصلة بالآخرة

و هي نعمة الدين ومتمماته

***اخْتَصَّكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ-مِنَ الْفَضْلِ بِمَا لَا يُحَد وَلَا يُوصَف،

بِمَا شَرَّفَ بِهِ نَبِيَّكُمْ مُحَمَّدًا ﷺعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَهَدَاكُمْ بِهِ لِأَحْمَدِ الشَّرَائِعِ.

(وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ)

الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر،

بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ
لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)

يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في الوفاء والخيانة في الأموال،

لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكتمهم الحق،

فأخبر أن منهم الخائن والأمين، وأن منهم

(مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ)

و هو المال الكثير

(يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ)

و هو على أداء ما دونه من باب أولى،

(وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ)

و هو على عدم أداء[[***وَإِذَا كَانَ هَذَا صَنِيعُهُ فِي الدِّينَارِ]]

←ما فوقه من باب أولى وأحرى،

(إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ)

***أَيْ: بِالْمُطَالَبَةِ وَالْمُلَازَمَةِ وَالْإِلْحَاحِ فِي اسْتِخْلَاصِ حَقِّكَ،

***صحيح البخاري

2291 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ،

فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ،

فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالكَفِيلِ،

قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ،

فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى،

فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ،

ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا،

فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا،

فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ،

ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ،

فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاَ،

فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا،

فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ،

وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ،وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا،
فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ،
ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ،
فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ،
فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا،
فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ،
فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ،
فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ،
فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ،
قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟
قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ،
قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ،
فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا "( )

❍و الذي أوجب لهم الخيانة و عدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا)

عليهم

(التمس) طلب.

(للأجل) الزمن الذي حدده له للوفاء. (فنقرها) حفرها.

(صحيفة) مكتوبا.

(زجج) سوى موضع النقر وأصلحه من تزجيج الحواجب وهو حلق زوائد الشعر.

(تسلفت فلانا) طلبت منه سلفا.

(جهدت) بذلت وسعي. (ولجت) دخلت في البحر]

(لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ)

***الاميين:العرب

أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم،

لأنهم بزعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار،

و رأوا أنفسهم في غاية العظمة،

و هم الأذلاء الأحقرون، فلم يجعلوا للأميين حرمة،و أجازوا ذلك،

فجمـــــــعوا بيـــــــن :-

1-أكـــــــل الحرام

2-و اعتقـــــــاد حله

و كان هذا كذبا على الله،

لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن نفسه، وذلك هو الكذب،

فلهذا قال (وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)

و هذا أعظم إثما من القول على الله بلا علم، ثم رد عليهم زعمهم الفاسد.

فقال (بَلَىٰ)

أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج،

بل عليكم في ذلك أعظم الحرج و أشد الإثم.

(مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ)

*الميسر:بما عاهد الله عليه من أداء الأمانة و الإيمان به و برسله و التزم هديه و شرعه،

❍و العهد يشمل العهد الذي بين العبد و بين ربه،

و هو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه،

و يشمل العهد الذي بينه و بين العباد،

(وَٱتَّقَىٰ)

و التقوى تكون في هذا الموضع،

ترجع إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد و بين ربه، و بينه و بين الخلق،

-فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى،

[سواء كانوا من الأميـــــــن أو غيرهم]

فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهده ولم يتق الله،

فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله،

❍وإذا كان الأميون قد عُرفوا :-

1-بـــــــــوفاء العهود

2-و بتقــــــــــوى الله

3-و عدم التجـــــــــــرئ على الأموال المحترمة،

(فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ)

كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة،

و كانوا أفضل خلق الله و أجلهم،

بخلاف الذين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا)

جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

2356 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا}

[آل عمران:77] الآيَةَ،

فَجَاءَ الأَشْعَثُ، فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيَّ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي،

فَقَالَ لِي: «شُهُودَكَ»، قُلْتُ: مَا لِي شُهُودٌ،

قَالَ: «فَيَمِينُهُ»،

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا يَحْلِفَ، فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الحَدِيثَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا لَهُ()

(على يمين) على متعلق يمين وهو المحلوف عليه.

(يقتطع بها) يأخذ قطعة بسبب يمينه.

(هو عليها فاجر) كاذب في الإقدام عليها.

(يشترون) يستبدلون.

(بعهد الله) بما عاهدهم الله عليه من الصدق والوفاء والأمانة وغير ذلك.

(ثمنا قليلا) عرضا حقيرا من أعراض الدنيا.

(خلاق) نصيب. (يزكيهم) يطهرهم ويثني عليهم]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾

–و يدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده،

﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾

و كذلك من حلف على يمين يقتطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية،

فهؤلاء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾

أي: لا نصيب لهم من الخير

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾

يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا، لتقديمهم هوى أنفسهم على رضا ربهم

***لَا يُكَلِّمُهُمْ كَلَامَ لُطْفٍ بِهِمْ،

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾

*** وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ "

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾

أي: يطهرهم من ذنوبهم، و لا يزيل عيوبهم

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾

أي: موجع للقلوب و الأبدان، و هو عذاب:–

1– السخط

2–و الحجاب،

3–و عذاب جهنم، نسأل الله العافية.

***صحيح البخاري

4549 -عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ،
لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ:
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ
إِلَى آخِرِ الآيَةِ،
قَالَ: فَدَخَلَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ،
وَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟
قُلْنَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فِيَّ أُنْزِلَتْ كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيِّنَتُكَ أَوْ يَمِينُهُ»
فَقُلْتُ: إِذًا يَحْلِفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ،
وَ هْوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَ هْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»( )

(يمين صبر) أي يمينا ألزم بها وحبس بسببها]

وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ
مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ
تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ
أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ
ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ
وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ
٨٢ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣

وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ
مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ

(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ)

يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب،

أي: يميلونه و يحرفونه عن المقصود به،

و هذا يشمـــــــل الـــــلي و التحـــــــريف لألـــــــفاظه و معانيه،

و ذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه و عدم تغييرها،

و فهم المراد منها وإفهامه،

و هؤلاء عكسوا القضية و أفهموا غير المراد من الكتاب،

[إما تعـــــــريضا و إما تصـــــــريحا]،

فالتعريض في قوله (لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ)

أي: يلوون ألسنتهم و يوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله،

و ليس هو المراد،

و التصريح في قولهم:

(وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

وهذا أعظم جرما ممن يقول على الله بلا علم،

(وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

○ هؤلاء يقولون على الله الكذب فيجمعون بين:-

1- نفـــــــي المعنى الحق،

2–و إثبـــــــات المعنى الباطل،

3–و تنــزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع علمهم بذلك.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟

عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ

تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ

أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ

***مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ و الحُكْم وَ النُّبُوَّةَ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ:
اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ.
أَيْ: مَعَ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا لَا يَصْلُحُ لِنَبِيٍّ وَ لَا لِمُرْسَلٍ،
فَلِأَنْ لَا يَصْلُحَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرَهُمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى؛
وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-
لَا يَنْبَغِي هَذَا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ.
قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانَ يَعْبُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا -يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ-
كَانُوا يَتعبَّدون لِأَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ

لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١

***سنن الترمذي ت شاكر

3095 - عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ،
قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺوَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ.
فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»،
وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ:

{ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } [التوبة: 31]،
قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ،
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ،
وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»
***فَالْجَهَلَةُ مِنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ وَ مَشَايِخِ الضَّلَالِ يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الذَّمِّ وَ التَّوْبِيخِ، بِخِلَافِ الرُّسُلِ وَ أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ،
فَإِنَّمَا يَأْمُرُونَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَبَلَّغَتْهُمْ إِيَّاهُ رُسُلُهُ الْكِرَامُ.
***إِنَّمَا يَنْهَوْنهم عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ وَبَلَّغَتْهُمْ إِيَّاهُ رُسُلُهُ الْكِرَامُ.
فَالرُّسُلُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أجمعينَ،
هُمُ السُّفَرَاءُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي أَدَاءِ مَا حَمَلُوهُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَإِبْلَاغِ الْأَمَانَةِ،
فَقَامُوا بِذَلِكَ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَنَصَحُوا الْخَلْقَ، وَبَلَّغُوهُمُ الْحَقَّ.
–وهذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي ﷺلما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: –أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله،

فقوله (مَا كَانَ لِبَشَرٍ)

أي: يمتنع ويستحيل على بشر مَنَّ الله عليه بإنزال الكتاب

وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق

(ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ)

فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق،

و الأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق،

فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم،

فلا يأمرون إلا بمعالي الأمور وهم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة،

فلهذا قال (وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ)

أي: و لكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين،

أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس و مربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك،

فهم يأمرون[بالعلم و العمل و التعليم]التي هي مدار السعادة،

و بفوات شيء منها يحصل النقص و الخلل،

و الباء في قوله (بما كنتم تعلمون) إلخ، باء السببية،

أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم و درسكم لكتاب الله و سنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم و يبقى، تكونون ربانيين.

(وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ)

*** تحفظون ألفاظه.

(وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ)

و هذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه و لا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة و النبيين و غيرهم

(أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ)

هذا ما لا يكون و لا يتصور أن يصدر من أحد مَنَّ الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثما عظيما و كفرا وخيما.

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين و عهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من:-

1- كتـــــــاب الله المنزل،

2- و الحكـــــــــمة الفاصلة بين الحق و الباطل و الهدى و الضلال،

إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به و يصدقوه و يأخذوا ذلك على أممهم،

- فالأنبياء عليهم الصلاة و السلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، و يصدق بعضهم بعضا لأن جميع ما عندهم هو من عند الله،

و كل ما من عند الله يجب التصديق به و الإيمان،

فهم كالشيء الواحد،

فعلى هذا قد علم أن محمدا ﷺ هو خاتمهم،

❍فكل الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به و اتباعه ونصرته، و كان هو إمامهم و مقدمهم و متبوعهم،

❍فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته و جلالة قدره، و أنه أفضل الأنبياء و سيدهم ﷺ لما قررهم تعالى

(وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ)

*****يعني عهدي أي ميثاقي الشديد**

(قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ)

أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين

(قَالَ)

الله لهم:

(فَاشْهَدُوا)

على أنفسكم و على أممكم بذلك،

قال (وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ)

العهد و الميثاق المؤكد بالشهادة من الله و من رسله

(فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى و من تبعهم،

فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ،

و استحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمدﷺ

*****قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ ابْنُ عَمِّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:**

مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ،

لئن بَعَث محمدًا وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ،

وأمَرَه أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ:-

لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺوَ هُمْ أَحْيَاءٌ ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

*****و قال طاووس:-**

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَصْدُقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَهَذَا لَا يُضَادُّ مَا قَالَهُ عَلِيٌّ وَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ لَا يَنْفِيهِ، بَلْ يَسْتَلْزِمُهُ وَ يَقْتَضِيهِ.

(أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ)

أي: أيطلب الطالبون و يرغب الراغبون في غير دين الله؟

لا يحسن هذا و لا يليق، لأنه لا أحسن دينا من دين الله

(وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا)

أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له :-

1-طوعا و اختيارا،[وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم]

2-و كرها[وهم سائر الخلق، حتى الكافرون]

مستسلمون لقضائه و قدره لا خروج لهم عنه،

و لا امتناع لهم منه،

*****كقوله**

﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾

الرعد: ١٥.

*****فَالْمُؤْمِنُ مُسْتَسْلِمٌ بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ لِلَّهِ،**

وَ الْكَافِرُ مُسْتَسْلِمٌ لِلَّهِ كَرْهَا،

فَإِنَّهُ تَحْتَ التَّسْخِيرِ وَ الْقَهْرِ وَ السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَا يُخَالِفُ وَلَا يُمَانِعُ.

(وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ)

و إليه مرجع الخلائق كلها، فيحكم بينهم و يجازيهم

بحكمه الدائر بين :–[الفضل و العدل].

قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ
بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ
مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ
إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ
أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا
ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ
إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ
بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ
بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ

تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة،

***{قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا}

يَعْنِي: الْقُرْآنَ

{وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ}

أَيْ: مِنَ الصُّحُفِ وَ الْوَحْيِ:

{وَٱلْأَسْبَاطِ }

وَ هُمْ بُطُونُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُتَشَعِّبَةُ مِنْ أَوْلَادِ إِسْرَائِيلَ -هُوَ يَعْقُوبُ- [الِاثْنَيْ عَشَرَ].

{وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ} يَعْنِي: بِذَلِكَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

{وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ}

وَهَذَا يَعُم جميعَ الْأَنْبِيَاءِ جُمْلَةً

{لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ}

يَعْنِي: بَلْ نُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ

{وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ }

فَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ،
وَ بِكُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ، لَا يَكْفُرُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ
بَلْ هُمْ مُصَدِّقون بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَ بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ.

ثم قال تعالى.

(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)

***من سلك طريقا سوي ما شرعه الله فلن يقبل منه

***صحيح البخاري

2697 -عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»

-أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده،

فعمله مردود غير مقبول، ﷺ

[لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله،إخلاصا و انقيادا لرسله]

❍فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه،

وكل دين سواه فباطل، ثم قال تعالى:

(كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ)

-هذا من باب الاستبعاد،

أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر و الضلال بعدما:-

1- آمنــــــــوا

2-و شهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات و البراهين القاطعات

* الصحيح المسند من أسباب النزول

قال الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال:

كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد و لحق بالشرك

ثم ندم فأرسل إلى قومه:-

أرسلوا إلى رسول الله هل من توبة قال: "فنزلت"

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} إلى قوله –

{وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ...

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأصلحوا فإن الله غفور} رحيم

(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

❍فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه،

واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا لأهوائهم،

فهؤلاء لا يُوَفقون للهداية،

❍لأن الذي يُرجى أن يهتدي هو الذي:-

1-لم يعـــــــرف الحق

2-و هو حريص على التماسه،

[فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية و يصونه من أسباب الغواية.]

✡ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية و الأخروية، فقال

(أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ)

*الميسر:أولئك الظالمون جزاؤهم أنّ عليهم لعنة الله و الملائكة و الناسِ أجمعين، [فهم مطرودون من رحمة الله]

(خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ)

أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته،

(وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)

أي: يمهلون، [لأن زمن الإمهال قد مضى]

و قد أعذر الله منهم و عمرهم ما يتذكر فيه من تذكر،

*كقوله

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾فاطر: ٣٧(Î)

فلو كان فيهم خير لوجد، و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

*** وَ هَذَا مِنْ لُطْفِهِ وَ بِرِّهِ و رَأْفَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ عَائِدَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ:-

أَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ.

التفسير الميسر :أو لم نُمْهلكم في الحياة قَدْرًا وافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من اتعظ

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ)

❍يخبر تعالى أن من كفر بعد إيمانه،

(ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ)

☼ثم ازداد كفــــــــرا إلى كـــــــــفره:-

1-بتماديه في الغـــــــــي و الضلال،

2-و استمراره على ترك الرشد و الهدى،

أنه لا تقبل توبتهم،

أي:لا يوفقون لتوبة تقبل بل يمدهم الله في طغيانهم يعمهون، قال تعالى

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ

يَعۡمَهُونَ ﴾الأنعام: ١١٠

❍فالسيئات ينتج بعضها بعضا،

☼وخصـــــــــوصا لمن:-

1- أقـــــــــدم على الكفر العظيم

2-و تـــــــرك الصراط المستقيم،

☼و قـــــــد:-

1-قــــــامت عليه الحجة

2-و وضــــــــــح الله له الآيات والبراهين،

✿فهذا هو الذي سعى في قطع أسباب رحمة ربه عنه،

و هو الذي سد على نفسه باب التوبة، و لهذا حصر الضلال في هذا الصنف،

* الصحيح المسند من أسباب النزول

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس:

أن قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا

فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺفنزلت هذه الآية

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}

فقال (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ)

✿و أي: ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة،

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ)

و هؤلاء الكفرة إذا استمروا على كفرهم إلى الممات تعين هلاكهم و شقاؤهم الأبدي، و لم ينفعهم شيء،

❍فلو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهبا ليفتدي به من عذاب الله ما نفعه ذلك،

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)

بل لا يزالون في العذاب الأليم،

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)

[لا شافع لهم و لا ناصر و لا مغيث و لا مجير]
ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كل خير،
و جزموا على الخلود الدائم في العقاب و السخط، فعياذا بالله من حالهم.
***صحيح مسلم
214 عَنْ عَائِشَةَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ
كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَ يُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟
قَالَ: " لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا:-
[رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ]
***كقوله
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ
مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾المائدة: ٣٦
***صحيح مسلم
2805 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
" يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: -
لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَ أَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ:-
[أَنْ لَا تُشْـــــــرِكَ]-
أَحْسِـــــــــبُهُ قَالَ: -
[وَ لَا أُدْخِلَكَ النَّارَ]-
فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ "